مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإسراء الفلسطينية

الإسراء

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾

العدد الواحد والتسعون 91 رجب . شعبان 1431 هـ يوليو . آب 2010م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصـــدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 91 رجب ـ شعبان 1431 هـ وفق تموز ـ آب 2010 م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحريـــر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحـــرير

أ. يوسف تيسير محمود

هيئة التحـــرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

التحذير مما يتهدد مسرى النبي ﷺ	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

ملخص المطلوب لحماية مسرى الرسول ﷺ	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	12

مناسبة العدد

الإسراء والمعراج	الشيخ حسن جابر	15

أفكار وآراء

الينابيع الدينية للسلام وسبل المسلم إليه	الأستاذ الدكتور ذياب عيوش	19
النسيج الاجتماعي وأثره في وحدة الأمة	الشيخ عمار توفيق بدوي	28
منغصات الضمير !!	الأستاذ ياسين السعدي	37

تربية وتعليم

التعليم العالي والتنمية البشرية	الدكتور حمزة ذيب	41
التعليم الشرعي واقع ـ آمال ـ طموحات	الدكتور شفيق عياش	61

فهرس العدد

فقه

زاوية الفتاوى	الشيخ محمد أحمد حسين	65
كشف الغطاء عن جواز الجلوس للعزاء	الشيخ إحسان عاشور	70
الخمور	الشيخ أحمد شوباش	74

شخصية أزهرية

فقيد العالم الإسلامي فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله	الدكتور إسماعيل نواهضة	86

قيم وأخلاق

تقوى القلوب	الشيخ محمد سعيد صلاح	90
عفة العلماء	الأستاذ كمال بواطنة	95

نشاطات وأخبار

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	100
مسابقة العدد 91	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 89	أسرة التحرير	111
الكتابة لمجلة الإسراء	أسرة التحرير	112

التحذير مما يتهدد مسرى النبي ﷺ

الشيخ محمد أحمد حسين / المشرف العام

تتعرض الأرض التي باركها الله، أرض الإسراء والمعراج، لمخاطر التدنيس، وطمس الهوية، ولعدوان متواصل يستهدف شجرها وحجرها وإنسانها، وهي تستصرخ مستنجدة مستغيثة، ولكن لا مغيث لها من أصحاب النفوذ البشري الذين بات دعمهم قاصراً على مواقف هزيلة، ومؤازرة لا ترقى إلى مستوى الخطر الذي يتهددها، فهي تتعرض لخطر لا يستطيع أحد التقليل من حجمه وآثاره، فما حدث خطير، وما يحكى عما يخطط للتنفيذ في الأيام والمراحل القادمة أخطر وأصعب وأقسى، فالحرب مستعرة لكنها غير متكافئة على القدس، فهناك طرف يعتبرها عاصمته، ويمارس تبعات ذلك على أرض الواقع، ونحن نعتبرها قدسنا، لكنها محتلة بأيدي غيرنا، والتاريخ بسجله ووقائعه ووثائقه يؤيد حقنا فيها، وتبقى المسألة في نطاق الصراع بين طرف ينفذ مرحلياً ما شاء من الأفعال، ويصدر ما شاء من القرارات، وصاحب الحق مغلوب على أمره، وما يجري على أرض الواقع يأتي بخلاف أمانيه ورغباته.

وجزء مهم ورئيس من الحرب على القدس يخص المسجد الأقصى المبارك، الذي تتركز حوله بؤرة الصراع، وقد كثر في الآونة الأخيرة الحديث عن تهديده، وأصحاب هذا الحديث قسمان، قسم تمثله الجماعات الإسرائيلية المتطرفة التي تهدف إلى هدم المسجد الأقصى المبارك وبناء الهيكل مكانه، أو استباحة حرماته باقتطاع أجزاء منه، لتكون نواة لكنيس يهودي يبنى في ربوعه، والقسم الثاني يمثله المسلمون الذين يبدون التخوف من تنفيذ التهديدات الإسرائيلية، فينبهون العالم، وبخاصة المسلمين في أنحاء الدنيا إلى

ما يجري للمسجد الأقصى من استهداف ومحاولات تدنيس، ويبدو أن الأفعال والخطط التي تتماشى مع التهديد تجري على قدم وساق، وفق برامج معدة بعناية لهذه الغاية.

أهداف الإجراءات الإسرائيلية

تهدف سلطات الاحتلال الإسرائيلي من وراء إجراءاتها الخاصة بالمسجد الأقصى إلى التدخل في شؤونه، وسحب صلاحيات الأوقاف، ونقل النزاع إلى داخله وإعاقة ترميمه، وتغيير معالم المدينة المقدسة التي اشتهرت في صورها ومناظرها بمبنى المسجد الأقصى وأسواره، ومسجد قبة الصخرة في قلبها.

وتسعى سلطات الاحتلال من وراء إجراءاتها لعبرنة الأماكن العربية والدينية، وتهويدها وتحويلها إلى إسرائيلية.

وتأتي الإجراءات الإسرائيلية في القدس والمسجد الأقصى في إطار سياستها لفرض الأمر الواقع، وتهويد المدينة المقدسة، وإفراغها من سكانها الأصليين، فالإسرائيليون يعملون بفضل السيطرة والسطوة في الاتجاهات كافة لترسيخ وجودهم في القدس والأراضي الفلسطينية، لإثبات حقهم المزعوم فيها، في مقابل ما يقومون به من تهميش لحقوق الفلسطينيين في المدينة المقدسة، وطمس الآثار العربية والإسلامية فيها، وفيما يلي عرض لعينة من جوانب التهديد الذي ينتاب مسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

التهديد بتدميره وهدمه

لم تكن حادثة إحراق المسجد الأقصى عام 1969 سوى بداية لمحاولات عديدة تتحدث عنها الأخبار والتقارير لهدمه، ومن ذلك التسجيل الافتراضي الذي تنشره بعض الجماعات اليهودية، وتتداوله فيما بينها في حفلات خاصة، لهجوم تدميري على المسجد الأقصى المبارك بالطائرات والصواريخ، ومن ثم بناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

ويبدو أن الأيام القادمة ستشهد تصعيداً خطيراً ضد المسجد الأقصى، حسب ما ينشر

في وسائل الإعلام عن الخطط المبيتة لذلك.

السعي الإسرائيلي لإقامة الهيكل المزعوم مكانه أو في ساحاته

فصور الهيكل المنوي إقامته على أنقاض المسجد الأقصى نشرت على مواقع عديدة، ومنها جوانب الحافلات الإسرائيلية، ونقلت بعض وسائل الإعلام عن مسافرين أنه نصب مؤخراً مجسم كبير يبدو أنه لما يسمى بـ «الهيكل الثالث» في صالة الاستقبال للقادمين من الخارج إلى مطار بن غوريون الدولي في مدينة اللد.

وزعمت دائرة الآثار الإسرائيلية أنها وجدت آثاراً في مخلفات الأتربة التي أخرجتها دائرة الأوقاف الإسلامية عام 1999م إلى خارج المسجد الأقصى المبارك، وهذه المزاعم كذب وافتراء، فلا وجود لأي آثار للهيكل المزعوم في ساحات المسجد الأقصى المبارك أو تحته أو قريباً منه، والأتربة التي أخرجتها دائرة الأوقاف الإسلامية هي سطحية وخارجية، وتعود للعهد العثماني وليست من العهد القديم كما يزعمون، مع التذكير أن القدس تعرضت مرات عديدة لعمليات هدم وطمر بسبب الزلازل التي شهدتها فلسطين عبر التاريخ، وبالتالي فإن التربة المستخرجة حديثة العهد، ولا تمت لآثار العهود التي يتحدثون عنها بصلة، وإن سلطات الاحتلال تدعي كل مرة أنها وجدت آثاراً للهيكل المزعوم.

إحاطة المسجد الأقصى بالكنس ووحدات البناء الاستيطانية

تعمل سلطات الاحتلال على إحاطة المسجد الأقصى بالكنس التي يتم تشييدها ورفعها، بحيث تعلو المسجد وتحجبه عن الظهور والبروز في قلب القدس، مثل «كنيس الخراب» الذي أقامته بالقرب من المسجد الأقصى المبارك، وعلى أراضي عربية إسلامية وقفية، غير آبهة بمشاعر المسلمين وحقوقهم وردود أفعالهم.

وأفادت بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية مؤخراً كصحيفة يديعوت أحرونوت أن اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء في القدس ستناقش في النصف الثاني من شهر أيار

2010م مشاريع بناء ضخمة في محيط حائط البراق، الذي يسمونه حائط «المبكى»، وباب المغاربة، وفي مواقع عدة أخرى في محيط المسجد الأقصى والبلدة القديمة بالقدس، وتتضمن هذه المشاريع إقامة مبنى على موقع موقف السيارات قرب باب المغاربة بجانب المسجد الأقصى، وكذلك ترميم ساحة حائط البراق، وإقامة سقف فوقها، بالإضافة إلى إقامة مخفر للشرطة الإسرائيلية هناك.

وسبق لسلطات الاحتلال أن اتخذت قراراً ببناء 20 ألف وحدة استيطانية في القدس المحتلة.

تضييق الخناق على القدس وطمس معالمها العربية والإسلامية

إلى جانب ما تقوم به سلطات الاحتلال من بناء استيطاني في القدس ومحيطها، فإنها تقوم بعملية طمس مبرمجة للمعالم العربية والإسلامية، ومن شواهد ذلك إقدامها صباح يوم الأحد الموافق 5 /4 /2009م على سلب أحجار أثرية تاريخية إسلامية من منطقة القصور الأموية الإسلامية في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى المبارك، واستبدلت مؤخراً حجارة في سور القدس بحجارة مختومة بختم دائرة الآثار الإسرائيلية، وقامت بهدم عمارة الوقف الإسلامي الموجودة في القدس الغربية بالقرب من مقبرة مأمن الله، وهذه العمارة شيدت في أواخر عام 1928م، وهي من أملاك الوقف الإسلامي، فهي تعمل على هدم المعالم الإسلامية والعربية وتدميرها ، واستبدالها بمعالم وآثار إسرائيلية مزورة بهدف طمس الحقائق، وهي لا تقوم بطمس الآثار العربية الإسلامية في القدس فحسب، بل في جميع الأراضي الفلسطينية، وذلك سعياً لتهويدها وإظهارها على أنها آثار يهودية، غير آبهة بتحريف التاريخ وتزييفه.

وسبق لسلطات الاحتلال أن اتخذت قراراً بإغلاق باب العامود، وهو أحد الأبواب الرئيسة لمدينة القدس، والمؤدية للمسجد الأقصى المبارك، وذلك ضمن إجراءاتها الرامية إلى تهويد المدينة المقدسة بكاملها، بعد أن طوقتها بجدار الفصل العنصري، الذي أحكم

الخناق والحصار على القدس من ناحية، وحجب عنها أهلها من سكان المناطق العربية المجاورة من ناحية أخرى، وهذا القرار ينطوي على أخطار كبيرة، منها التحكم بدخول المواطنين إلى المدينة، وإعاقة المصلين من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك لإعماره، وبالتالي فرض مزيد من القيود عليهم، ويأتي هذا في إطار سياسة سلطات الاحتلال لخنق المدينة اقتصادياً وتحويلها إلى منطقة مهجورة، كما حدث في البلدة القديمة بالخليل، والتي أصبحت بعد ذلك مرتعاً للمستوطنين المتطرفين، فالسياسة التي تنتهجها سلطات الاحتلال الإسرائيلي تهدف لتهويد القدس بأكملها، وطرد المواطنين العزل من منازلهم، حتى يتسنى للمستوطنين بناء آلاف الوحدات السكنية فيها، سواء في حي الشيخ جراح أو سلوان أو منطقة الطور والعيزرية أو البلدة القديمة، مُحاوِلة بذلك فرض سياسة أمر واقع.

محاولات اقتحامه بالمسيرات وغيرها

تُسيِّر بعض الحركات الإسرائيلية نحو الأقصى بين الحين والآخر مسيرات تحت مسميات مختلفة، وفي مناسبات عديدة، والتصريحات العلنية المتضمنة التعبير عن الرغبة الملحة في اقتحام المسجد وهدمه وإقامة الهيكل مكانه تطلق من أفواه ومستويات عديدة ومختلفة، إضافة إلى زعم ما يسمى «لجنة الآثار الإسرائيلية» اكتشاف آثار تعود للهيكل المزعوم، خلال حفريات قامت بها دائرة الأوقاف الإسلامية مؤخراً لتمديد خط كوابل كهرباء في المسجد الأقصى المبارك.

من جانب آخر؛ فإن سلطات الاحتلال تقتحم بين الحين والآخر باحات المسجد الأقصى، وتطوقه، وتحاصر من فيه من المعتكفين والموظفين، في الوقت الذي ترعى فيه الجماعات المتطرفة، التي تعيث فساداً في الأراضي الفلسطينية، ويتزامن ذلك في كثير من الأحيان مع دعوات جماعات يهودية متطرفة لاقتحام المسجد الأقصى المبارك، لإقامة شعائر وطقوس تلمودية في باحاته.

الحفريات

تقوم سلطات الاحتلال بالحفريات وفتح الأنفاق منذ عام 1967م في المنطقة المحيطة بالمسجد الأقصى، وأسفل جدرانه، وما عملته سلطات الاحتلال في تلة باب المغاربة يأتي في سياق عملها في حفر الأنفاق وهدم الآثار الإسلامية والعربية في جميع المناطق الفلسطينية، ومن دلائل الحفريات التي تقوم بها أسفله وأسفل البلدة القديمة بالقدس، الانهيار الذي حدث في شارع سلوان، والذي أحدث حفرة عميقة فيه، تدل بلا شك على وجود حفريات خطيرة، وهذه الحفريات تشكل خطراً حقيقياً محدقاً بالمسجد الأقصى المبارك وأروقته وجدرانه، كما أنها تشكل خطراً على منازل المواطنين الموجودة في مناطق الحفريات، فسلطات الاحتلال ممعنة بحفر الأنفاق، في الوقت الذي تمنع أعمال الترميم للمسجد الأقصى والمباني في البلدة القديمة، مما يتسبب بتصدع أساسات المباني وجدرانها، ويعرضها للسقوط والدمار، وهذه الانهيارات ليست الأولى، بل سبقها العديد من الانهيارات، منها ما حدث في مدرسة الوكالة بفعل آثار حفر الأنفاق، ومعلوم أن سلطات الاحتلال ومستوطنيه يقومون بحفر شبكات أنفاق بحثاً عن تاريخ واهم لهم، وهذه الحفريات ستؤدي إلى اهتزاز أساسات المسجد الأقصى المبارك وهدمه – لا سمح الله – ويخشى من أن تؤدي آثار الحفريات إلى إجبار السكان الفلسطينيين العرب على ترك منازلهم خشية سقوطها عليهم، وبالتالي الاستيلاء عليها من قبل سلطات الاحتلال والمستوطنين، التي تضرب بعرض الحائط جميع القوانين والأعراف الدولية التي تمنع أي عمل لتغيير المعالم في الأراضي المحتلة. وهي بذلك تضر بمصالح المنطقة، وتقودها إلى مزيد من التوتر وعدم الاستقرار في ظل تشدقها بالحديث عن السلام وزعمها الحرص عليه.

الاعتداء على حراس المسجد الأقصى وعرقلة عملهم

ما تفتأ سلطات الاحتلال تعتدي على حراس المسجد الأقصى المبارك من خلال أفراد أجهزتها الأمنية وشرطتها، الذين يمارسون بحق المسجد الأقصى المبارك وحراسه ورواده أبشع أساليب التنكيل، ويمنعون عدداً من الحراس والسدنة من الالتحاق بوظائفهم وأعمالهم لعرقلة حراسته، وتحظر على بعضهم الوصول إلى منطقة المسجد، وبعضهم مضى على أوامر منعه من دخول المسجد الأقصى المبارك مدة زمنية طويلة، ضمن أساليبها الرامية لإفراغ المسجد من رواده.

الاعتداء على المقابر

لم تسلم مقابر أموات المسلمين من عبث الجهات الإسرائيلية الرسمية والاستيطانية، كما حصل لمقبرة مأمن الله التي حولوا أرضها إلى ما يسمى «بمتحف التسامح»، وهو تسامح عجيب، وبخاصة أنه يقوم على رفات الموتى، بالإضافة إلى طمر جزء منها بالقرب من قبر الأمير الكبكي المملوكي المقام منذ 800 عام غربي المدينة المقدسة بطبقة سميكة من نجارة الخشب والأتربة، بغرض إقامة الحي الاستيطاني الذي يهدف إلى زيادة عدد المستوطنين في القدس.

كما قررت منع المسلمين من دفن موتاهم في جزء من مقبرة باب الرحمة في القدس، في محاولة لإلغاء حق المسلمين بدفن موتاهم في هذه المقبرة التي هي ملك للمسلمين، متجاهلة حقهم في الإشراف عليها والتصرف بها، وهي بذلك تمس كرامة الأموات بعد أن تجاوزت كرامة الأحياء، ولم تبق على شيء منها.

فالقدس ومسجدها الأقصى يواجهان هجمة استيطانية متصاعدة، وذلك استمرار لنهجها بتهويد المقدسات الإسلامية، والتي كان آخرها ضم كل من المسجد الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح إلى قائمة التراث اليهودي، دون أن تقيم - كعادتها - وزناً لأي اعتبار ديني، إضافة إلى ما يقدم عليه مستوطنوها من إحراق للمساجد في الأراضي

الفلسطينية، فقد أحرقوا بالأمس القريب مسجد ياسوف في محافظة سلفيت، ثم مسجد اللبن الشرقية في محافظة نابلس، وجرفوا مسجد الدهنية في محافظة رفح، ضمن مسلسل متواصل وقريب الحلقات.

إن استمرار سلطات الاحتلال في هذه السياسة سيجر المنطقة بأكملها إلى عواقب وخيمة، حيث إنها تعمل بين الفينة والأخرى على جس نبض الشارع الفلسطيني والعربي والإسلامي من خلال رصد ردة فعله على ممارساتها ضد الحقوق والمقدسات الفلسطينية، وهي بذلك تتجه نحو إحداث كارثة حقيقية تستهدف المقدسات الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

مع التنبيه إلى أن سكوت المسلمين والعرب على هذه الممارسات والاعتداءات شجع سلطات الاحتلال على التمادي بها، وإن الهيئات والمنظمات المحلية والدولية مطالبة بضرورة التدخل، لوقف مثل هذه الممارسات التعسفية، التي ازدادت في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ وكبير، دون أية مبالاة من السلطات المحتلة، ودون رادع من المجتمع الدولي، وهي تسعى من وراء أفعالها هذه إلى وضع اليد فعلياً على القدس والمقدسات، وتغيير معالم المدينة المقدسة، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى، لذا يتوجب على المسلمين في أقطار الأرض كافة، ضرورة التدخل لمنع سلطات الاحتلال من تنفيذ هذا القرار، وحماية مسجدهم الأقصى المبارك.

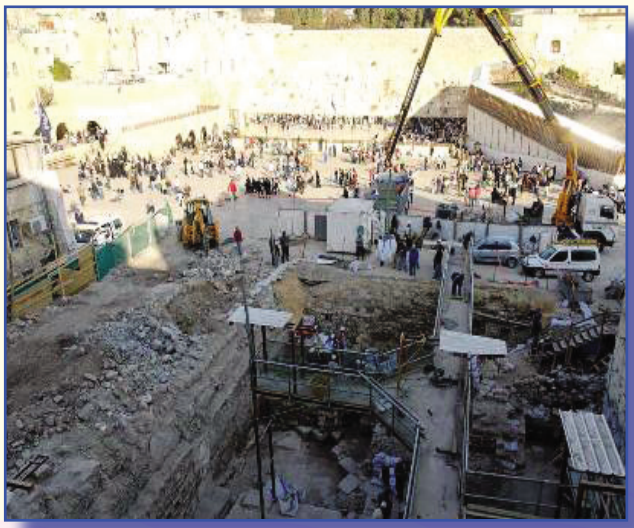

كلمة العدد

ملخص المطلوب لحماية مسرى الرسول ﷺ

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

ينبغي أن يعلم القاصي والداني أن ما يستهدف المسجد الأقصى من تهديد إنما يستهدف عقيدة مسلمي العالم، ويمس حقوقهم الثابتة ديناً وتاريخاً وثقافةً وواقعاً في هذا المسجد، الذي يمثل قبلتهم الأولى، ومسرى نبيهم صلى الله عليه وسلم، ومنطلق معراجه إلى السماء، فالله بارك حوله، في مطلع السورة القرآنية التي سميت بالإسراء، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأقصى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(1)

ولو لم يكن إلا هذا الدليل القرآني يدعو إلى ارتباط المسلم بالمسجد الأقصى لكفى، فهو يشير إلى الصلة الوثيقة بينه وبين المسجد الحرام، بما يمثله من مكانة عظيمة في تاريخ المسلمين وعبادتهم وعقيدتهم، فهو أول مسجد بني في الأرض لعبادة الله، وتلاه المسجد الأقصى، ففي الحديث الصحيح «عن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الأقصى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ»(2)، وهو القبلة المقررة من رب العالمين للمسلمين، يتوجهون إليه في صلاتهم أينما كانوا، التزاماً بقوله تعالى:{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(3)،

ومعلوم أن قبلة المسلمين الأولى كانت المسجد الأقصى، حتى نزل الأمر الإلهي بالتحول إلى البيت الحرام، ففي الحديث الصحيح «عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَنَزَلَتْ {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} (4) فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ»(5).

إن الإعلان عن المشروع اليهودي الذي يهدف إلى تهويد القدس وتقسيم المسجد الأقصى المبارك، إنما هو ضرب من العدوان الآثم، يمس عقيدة المسلمين، لأن القدس والمسجد الأقصى المبارك هما ملك للمسلمين وحدهم، تنحصر السيادة فيهما للمسلمين وحدهم، ولعل ما يتهدد قبلتنا الأولى ومسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتطلب وقفةً جديةً، لوقف الانتهاكات الإسرائيلية في القدس والمسجد الأقصى قبل أن تقع الطامة بهما.

إن العالم أجمع بحكوماته ومنظماته ومؤسساته التي تعنى بالسلام والإنسان والمقدسات وزعماء الأمة العربية والإسلامية وشعوبها –على وجه الخصوص– مطالبون بالعمل على إنقاذ القدس والمسجد الأقصى المبارك قبل فوات الأوان، وهم مطالبون أيضاً بضرورة ثني سلطات الاحتلال عما تخطط له من طمس لهوية مدينة القدس وتشريد أبنائها، والوقوف في وجه الآلة العسكرية لسلطات الاحتلال التي تمارس أبشع جرائم الإحلال والتطهير العرقي ضد أبناء فلسطين بعامة، ومدينة القدس وأبنائها بخاصة، مما يزيد من حالة الاحتقان في المنطقة، ويضر بالاستقرار والأمن العالميين، مع التأكيد على أن القانون الدولي يمنع التعرض للمقدسات والآثار التاريخية للبلد المحتل، فالصمت الدولي إزاء هذه الممارسات وضد أبناء الشعب الفلسطيني ومقدساته مستهجن، وفق معايير جميع القيم النبيلة.

كما أن شعبنا الفلسطيني مطالب بضرورة العمل لوحدة الصف ونبذ الفرقة والانقسام،

من أجل الدفاع عن القدس والمقدسات والحقوق الفلسطينية والعربية والإسلامية، فحالة الانقسام الداخلي هي من أهم الأسباب التي أغرت وتغري سلطات الاحتلال في التعامل بغطرسة واستهتار مع حقوق الشعب الفلسطيني، ودول العالم مطالبة بضرورة التحرك لوقف العدوان الإسرائيلي الغاشم ضد شعبنا ومقدساته، للحيلولة دون مخاطر العبث بالمسجد الأقصى المبارك وتداعياته.

وتأتي في هذا السياق دعوة المواطنين والمؤسسات للعمل على ترميم البيوت وإعمارها، وتفويت الفرصة على سلطات الاحتلال، حفاظاً على هذه الأماكن من أن تمس، مع التأكيد على ضرورة الثبات في وجه هذه الهجمة الشرسة التي تطال البشر والحجر، وكل ما هو أصيل في القدس، ولا بد من تأكيد الدعوة لكل من يستطيع الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك من مدينة القدس وما حولها، وفلسطينيي 48 إلى شد الرحال إليه، والمرابطة فيه، وإعماره بالصلاة، لتفويت الفرصة على من يريدون اقتحامه وتدنيسه، بما يتنافى مع الشرائع السماوية والقوانين والأعراف الدولية التي تضمن الحفاظ على أماكن العبادة والوصول إليها، وفي هذا المقام لا بد من الثناء على يقظة حراس المسجد الأقصى المبارك وسدنته والمصلين فيه، الذين يقومون بواجبهم في حماية مسرى نبيهم ﷺ.

فالمطلوب من زعماء العرب والمسلمين وضع القدس وفلسطين على سلم أولوياتهم، وملاحقة من يعتدون على المصلين الآمنين ومساجدهم، والبحث عن سبل حماية للمواطن الفلسطيني ومقدساته، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، خاصة في ظل الصمت الدولي تجاه ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي وانتهاكاتها للمقدسات والحقوق العربية في الأراضي الفلسطينية، وبخاصة في مدينة القدس.

الهوامش:

1. الإسراء:1.
2. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً.
3. البقرة: 150.
4. البقرة: 144.
5. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

الإسراء والمعراج

وما فيها من معجزات إلهية تفضل بها رب العزة على رسولنا خير البرية

الشيخ / حسن أحمد جابر
مفتي محافظة رفح / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فيقول الله عز وجل في محكم كتابه العزيز:

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(1).

تمر بنا في كل عام ذكرى عزيزة على كل قلب مسلم، ألا وهي ذكرى الإسراء والمعراج، فإن هذه الذكرى غيرت وجه التاريخ لصالح الإسلام والمسلمين، فقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يجعل مكان هذه الذكرى بيت المقدس؛ أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ليثبت في ضمير الأمة الإسلامية معنى الترابط والوحدة بين أجزاء أرض المسلمين، فالمتمعن في هذه الحادثة العظيمة لا بد أن يعيها من جانبين:

الجانب الأول: جانب الإعجاز؛ فمن المعلوم أن لكل نبي من الأنبياء معجزة، و معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تفوق كل هذه المعجزات، فمعجزة نبي الله موسى العصا، ومعجزة نبي الله عيسى أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص، فهذه المعجزات كانت تخاطب

الجوارح، وتنتهي بانتهائها، وأما معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهي القرآن الكريم، ومنها معجزة الإسراء والمعراج، وهي تخاطب العقل، وشتان بين ما يخاطب الجوارح وما يخاطب العقل، فإن معجزتي نبينا: القرآن الكريم والإسراء والمعراج ستظلان باقيتين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

الجانب الثاني من جوانب هذه الذكرى، هو: أن الإسراء والمعراج بالروح والجسد معاً؛ والذي جاء به صريح الآية ويطمئن إليه القلب، أنها كانت بالروح والجسد معاً، بدليل قول الله عز وجل { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا }(2) ولم يقل بروح عبده محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان الإسراء بالروح فقط؛ لما واجه النبي كل هذا الإنكار من أهل مكة، فعندما عاد النبي صلى الله عليه وسلم من رحلته الميمونة، وأخبرهم بما رأى، كانوا بين مصدق ومكذب بحسب قوة إيمانهم ورسوخ عقيدتهم، فإن أول من صدقه أبو بكر، ومن يومها سمي بالصِدِّيق.

وإننا في هذه الذكرى العطرة يجب علينا أن نستلهم الدروس والعبر:

الدرس الأول:

إن أرض المسلمين وحدة واحدة لا تتجزأ، وإنها ليست محلاً للابتزاز والتفريط، ويدل على ذلك حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: لما أسري برسول الله ﷺ من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى، وركب البراق، فعندما وصل إلى المسجد الأقصى جمع له الأنبياء، فصلى بهم إماماً، وهذا فضل من الله عز وجل على النبي وعلى أمته، حيث إن الله عز وجل فضل نبينا على سائر الأنبياء، وفضل أمته على سائر الأمم، وفي ذلك يقول الشاعر:

أسرى بك اللّه ليلاً إذ ملائكُه والرسلُ بالمسجد الأقصى على قـــدمِ

لما خطرت به التفـــوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجندي بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومـــن يفـــز بحبيب اللّه يـــأتمم

والدرس الثاني الذي نستلهمه من هذه الذكرى؛ أن من توكل على الله، فإن الله سيحميه ويرعاه، فإن الرسول حين مكث في مكة نحو ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى الله على بصيرة، فلم يستجب أهل مكة له، فخرج إلى ثقيف بالطائف، لعله يجد أرضاً أصلب، وأفقاً أرحب، ولكن أهل ثقيف كانوا أشد غلظة من أهل مكة، فأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فضربوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، فوقف النبي مجرداً من كل سلاح، إلا سلاح الإيمان والتوكل على الله والثقة بنصر الله، فرفع يده إلى السماء قائلاً: «اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك»(2) فخاطبته القدرة: يا محمد؛ ستجتاز الأرض والسماوات بقدرتنا، وتتخطى الصعاب بعنايتنا ورعايتنا، فكانت هذه الرحلة العظيمة والمباركة.

الدرس الثالث من دروس هذه الذكرى؛ أنها كانت غربلة للمؤمنين، فأخرجت منهم المنافقين وضعفاء النفوس، حيث جسدت هذه الرحلة الإيمان للمؤمنين، وطبقته تطبيقاً عملياً، حيث كانت توطئة لما سيحدث بعد هذه الرحلة من خير، بدءاً بالهجرة، وتثنية بالجهاد، وخاتمة بالنصر المؤزر على أعداء الله.

الدرس الرابع؛ بينت هذه الذكرى ثواب من عمل الخير وعقاب من عمل الشر، وذلك في قوله تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}(3)، وفي ليلة الإسراء والمعراج المباركة فرضت على النبي وعلى أمته أشرف عبادة الصلاة، التي هي عماد الدين، وهي الصلة بين العبد وربه، حيث فرضت في أول الأمر خمسين صلاة في اليوم والليلة،

فما زال النبي يسأل ربه التخفيف حتى أصبحت خمساً في العمل، خمسين في الأجر.

أيها المسلمون، انتهزوا هذه الفرصة في هذه الأيام المباركة، وقدموا لأنفسكم فيها خيراً، واذكروا أنها كانت على عهد رسول الله أيام كفاح لم يذق خلالها طعم الراحة، ورغم ذلك استطاع أن ينقذكم ويدافع عنكم، فاحرصوا على إيمانكم ومقدساتكم، لأنها أمل نبيكم فيكم، ودعوته الخالدة لكم. فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي العرب والمسلمين أن اثبتوا مكانكم، وحرروا أرضكم ومقدساتكم، وأزيلوا آثار الظلم والعدوان عن أرض العروبة والإسلام.

وفي الختام؛ نسأل الله العلي القدير أن يحفظ بلادنا ومقدساتنا من كيد الكائدين، وأن يأتي العام القادم وقد حقق الله آمالنا في تحرير ترابنا، وبناء دولتنا الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف، وما ذلك على الله بعزيز.

الهوامش:

(1) الإسراء:1.

(2) سيرة ابن هشام، الجزء الأول، باب توجهه ﷺ إلى ربه بالشكوى.

(3) فصلت:46.

(4) تفسير الطبري ج15/ص7.

الينابيع الدينية للسلام وسبل المسلم إليه

أ.د. ذياب عيوش / رئيس جامعة فلسطين الأهلية

مقدمة:

منذ ظهور الإسلام كدين شمولي أرسل للناس كافة، والصراع محتدم بين من صدّقوه، أو نصروه، أو عملوا على نشره، أو مارسوه فكراً وعملاً، من جهة، وبين من ناصبوه العداء لخوفهم على تقاليدهم، أو لشعورهم بتضرر مصالحهم، أو لاعتقادهم أن هذا الدين خطر على وجودهم أو على امتيازاتهم أو تصرفاتهم غير المشروعة أو غير الإنسانية، أو إخفائهم حقائق يخشون من كشفها، من جهة أخرى. وهكذا زعم بعضهم أو أشاعوا أن دار الإسلام دار حرب، وأن محاربة الإسلام والمسلمين هي الطريق الأمثل لتوسيع دار السلام ومحاربة(الإرهاب).

ومن الغريب العجيب أن هذه الأحكام المسبقة التي رافقت ظهور الإسلام، ما زالت تسمع أو تلحظ كلما ذكر الإسلام، أو أثيرت قضايا العنف والإرهاب. وعلى الرغم من تاريخ الإسلام العريق، الذي خبرته معظم شعوب الأرض فكراً أو ممارسةً منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة سنة، وعلى الرغم مما قدمه الإسلام والمسلمون للبشرية من حضارة وقيم عليا ونماذج سلوكية مثالية، وحلول غير مسبوقة للمشكلات الدينية والدنيوية كافة، فقد التقى أعداء الإسلام وأعداء العدالة والفضيلة الحقة على تشويه الدين الإسلامي، عن قصد أو غير قصد، كمقدمة للانقضاض على أتباعه والمتمسكين به عقيدة ومنهج حياة.

وعلى الرغم من تعدد الأساطير والحجج والخرافات التي واكبت دعاوى المغرضين والجاهلين بحقيقة الدين الحنيف، فإننا نسمع ونشهد في هذه الأيام خرافة مختلقة يتبناها كثيرون، ويعبّرون عنها بالتصريح تارة، وبالتلميح تارة أخرى، ويذهب صنّاع هذه الخرافة ومروجوها إلى القول بأن الإسلام دار حرب، ومحفّز على الإرهاب، وهذه الخرافة المزعومة المفبركة تقوم على خلط مقصود، أو خلط ناجم عن فهم قاصر على أضعف الأحوال، ذي أبعاد أربعة:

الأول: يتعلق بالمساواة بين مجتمع المسلمين وبين المجتمع الإسلامي دون إدراك للفرق بينهما، من حيث إن الأول منهما قد تكون غالبية أفراده من المسلمين، ولكن نظام الحكم فيه قد يكون علمانياً، ولا يستند إلى الأحكام الشرعية، خلافاً للمجتمع الإسلامي الذي يقوم على مبادئ الشريعة الإسلامية وأحكامها.

والثاني: يقوم على المساواة بين المسلم وبين الإسلام، فإذا أخطأ مسلم أو عمل عملاً غير مقبول، تحول الاتهام إلى الدين الإسلامي.

والثالث: يشتق الأحكام القيمية ضد الإسلام من خلال نظرات أو ممارسات خاطئة، أو فهم سطحي، بعيداً عن المصادر الإسلامية الأساسية للحكم على العقيدة أو السلوك، والممثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

أما البعد الرابع؛ فيتعمد الربط بين الإسلام والإرهاب طالما بقي الإسلام صمام أمان للحفاظ على الخير والأخلاق والقيم العليا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما في ذلك من خطر على السارقين والمارقين والظالمين والمنحرفين والفاسدين المفسدين.

وحتى نضع الأمور في نصابها الصحيح نود أن نبين للمسلم وغير المسلم، ومن خلال المصادر الإسلامية الرئيسة، سبل الإسلام الحقيقية إلى السلام، والتي تبعد المسلم عن خيارات الحرب والظلم والاضطهاد والفساد والعنف والإرهاب كنقائض واضحة ومرفوضة للسلام، ومن أهم هذه السبل:

1- البسملة، أو الابتهال إلى الله.

2- التوحيد، أو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

3 – الجهاد في سبيل الله.

4 – الكفاح من أجل السلام.

5 – التسامح.

6 – الابتعاد عن الفساد.

1 ـ البسملة أو الابتهال إلى الله.

إنّ الابتهال القرآني «بسم الله الرحمن الرحيم» الذي يتصدر سور القرآن الكريم باستثناء سورة التوبة، يدعونا إلى تفكير يتخطى حدود وعينا بأكمله، وسواء أكان ذلك واضحاً في التصور القرآني أم في أي تصور يؤيد سمو الله الذي هو رحمة الله في الوقت ذاته، وسواء عبّرنا عن هذا التصور بالكلمات، أم اتخذناه محوراً لتفكيرنا الداخلي، فإنه يشدنا جميعاً نحو الوحدة. فالابتهال لإله واحد يعني الابتعاد والسمو عن كل مظاهر الانقسام والنزاع، وهذه هي أهمية التوحيد، فالتأكيد على وحدانية الله، التي هي الركيزة الأساسية للإسلام، إنما هو تحضير الإنسان من الناحيتين السيكولوجية والروحية للسلام.

الابتهال إلى الله وإقامة الصلاة لله تعالى يعنيان أن نكون في حضرته، وأن نكون في حضرته يعني أننا في حالة من الصلاة الأبدية، وبذلك تكون الصلاة بمثابة تجسيد عملي للسلام. فبالصلاة وحدها تشكّل الأدوات المادية والعقلية التي نستخدمها لإزالة الظلم وإقصائه، وبالصلاة وحدها يمكننا أن نكون وسيلة لسلام الله.

2 ـ شهادة أن لا إله الاّ الله كأساس للسلام.

لقد جمعنا فكر التوحيد من خلال التأكيد على وحدانية الله التي أشارت إليها الآيتان الكريمتان:

قوله تعالى:{إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ*رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ}(1).

وقوله عز وجل:{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (2).

وهكذا؛ فإن مصادر التفكك الإنساني وأسبابه ليست على صلة بالله سبحانه، وربما

كانت الحتمية التي تحملها التقاليد الدينية المختلفة التي تصر على أن حقيقة الله ليست متطابقة إلاّ مع ما تراه تلك التقاليد فقط، هي التي تشكّل الأرض الخصبة للكراهية والخوف، وهذا شيء مأساوي فريد، لأنه موجود في التوجيه الديني للكائنات البشرية الذي نجد فيه عناية حقيقية لتحقيق السلام، وبذلك فإنها ليست مزاعمنا عن الله، وإنما هي بالأحرى سبحانية الله التي تجمع المتدينين معاً في خشوع ومسؤولية أمامه سبحانه.

ومع ذلك فالتأكيد على بعد السبحانية هذا لا يتحقق من خلال الإذعان للطريقة الإنسانية في مواجهة مشاكل الحرب والسلام، فالإنسانية بدون عناية الله ليست أكثر من أخدوعة. كما أن تصورنا للكائنات الإنسانية على أنها مجرد نتاج للتطور الإنساني يفتح الباب أمام الأيديولوجيات، التي تساوي بقوة العقائد الدينية، بين حقيقة الإنسان وبين صور متنوعة للفهم الاجتماعي- الاقتصادي. وهكذا فاهتمام العلماني بالإنسانية هو في واقع الأمر تقييد للإنسانية داخل جدران محددة من التاريخ. فبدون الروحانية تنحل الإنسانية إلى فلسفة فارغة، ولا تقدم غير أمل زائف.

في السياق الروحي يلتقي المؤمنون على سلام واحد، وفي سياق الإنسانية قد يتحول السلام إلى استراتيجية سياسية من قبل إحدى الأيديولوجيات المسيطرة، فينبغي أن نضع هذه النقطة في أذهاننا؛ لأننا في معظمنا ميالون إلى الخلط بين السلام السياسي والسلام الحقيقي.

3 – العمل بروح التعاون البنّاء

عندما نمعن النظر في التقاليد الدينية المختلفة، يواجهنا موقفان متعارضان تماماً:

الموقف الأول؛ يعوق أي تعاون، ويشجّع على المواجهة بين هذه التقاليد، ويتمثّل فيما يراه أتباع تقليد ديني معين من أنهم على حق، وأن غيرهم على باطل، وأن من واجبهم تقويم ذلك الباطل أو تحييده.

والموقف الثاني؛ يدعو إلى التسامي، وتجاوز طرقنا وتقاليدنا الدينية الخاصة بنا، والكفاح مع ذوي التقاليد الدينية الأخرى من أجل حياة أفضل، ومن أجل بقاء الجنس البشري، بشكل عام، تمشياً مع إرادة الله سبحانه التي اقتضت وجود تعددية في التقاليد والشرائع،

بحيث يختبر الناس في الشرائع المختلفة، ويعرف المطيع منهم والعاصي.

قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(3).

وهكذا فمن وجهة النظر القرآنية لا تتضمن اختلافات الشرائع الدينية والسبل الروحية؛ أي دعوة إلى التجزئة، أو التفرقة بالضرورة، وإنما ينظر إليها على أنها اختبار لمن يتفوق في الاستباق إلى عمل الخير.

وبذلك يخلق الإسلام وحدة أخلاقية لكل الديانات، وتكون القيم الأخلاقية الأكثر أهمية هي قيم السلام والعدل، مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(4).

4ـ الكفاح من أجل السلام كوظيفة أو نتيجة للعدل

اعتاد كثيرون على تعريف السلام بأنه حالة اللاحرب، وهذا التعريف غير ملائم ولا ينسجم مع المفهوم الإسلامي، فالسلام ليس مجرد نقيض للحرب، وإنما هو حالة إيجابية توجد بشكل طبيعي، عندما تنتهي التناقضات تماماً داخل وضع معين، والتخلص من المتناقضات يتطلب، من وجهة النظر القرآنية، عملية مزدوجة من النماء الروحي للفرد والنماء الاجتماعي للعلاقات بين الناس، وبذلك يصبح السلام بمعناه الإيجابي وظيفة أو نتيجة للعدل والمحبة، وهذا ما يتضمنه معنى الكفاح في الإسلام.

العدل باعتباره متطلباً، يلزمنا بتحييد مختلف أشكال الاضطهاد واللامساواة داخل النظام الإنساني وإزالتها، والكفاح في سبيل التخلّص من الاضطهاد يعني الجهاد في سبيل الله كواجب ديني.

قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ

وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}(5)، وقال: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}(6)، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}(7).

إنّ إدراك الصراع على أنه حالة تنشأ في النظام الإنساني عندما يكون هناك مضطّهَدون (بفتح الهاء) ومضطهِدون (بكسر الهاء) هو مكوّن أساسي للوعي الديني، وبهذا الوعي تصبح النظرة القرآنية إلى السلام غير منفصلة عن النظرة القرآنية إلى العدل، وحسب هذا المفهوم يخلق الحب الميل الملائم للسلام الذي يبقى العدل بموجبه أساساً للسلام، إنه يتضمن نماءً روحياً فردياً نحو التحقق أو الاستدماج الداخلي للسلام بالمعنى المذكور أعلاه، وبذلك يكون المسلم ملتزماً، من خلال إطار العمل الجهادي، بدعوة الناس في الديانات الأخرى إلى المشاركة في الكفاح من أجل العدل، والحب، والسلام، وهذا هو معنى الخير الذي نحن مدعوون إلى التعاون بشأنه.

قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}(8)، وقال: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(9).

5 ـ التسامح

يعدُّ التسامح أحد السبل التي يدعو إليها الإسلام لنشر ثقافة السلام على الأرض، وتوسيع رقعة الصداقة والمحبة بين الناس كافة، والتسامح غير التنازل: فهناك حالات ثلاث فقط يتنازل فيها المسلم عن عزته طواعية وغير كاره، وهي:

- وهو بين يدي الله.
- وهو بين يدي والديه.
- وهو بين يدي أهله وجماعته.

ربط الله تعالى التسامح بالحسنة والعداوة بالسيئة. قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}(10).

والتسامح يتضمن التسامح في الفروع والالتزام بالأصول. وهذا يعني بالنسبة للمسلمين تجاوز المذهبية والتعددية الثقافية، فنحن نقول: الحمد لله رب العالمين، ولا نقول رب العرب، أو رب المسلمين، لأن التسامح لدينا مرتبط بالتعامل مع الغير أياً كان، وليس مع الأهل والأقارب فقط.

6ـ الابتعاد عن الفساد

إضافة إلى الابتعاد عن الظلم والاضطهاد اللذين يجب أن يجاهد الناس ضدهما في سبيل الله، يشير القرآن الكريم إلى مفهوم الفساد أو التدمير، أو ما يمكن أن نشير إليه في مصطلحاتنا المعاصرة «التدمير الشامل»، فالمعنيان متداخلان بلا شك، والمظاهر المادية للظلم مثلها مثل الإرهاب والتدمير، هي كلها من مظاهر الفساد.

ومع ذلك، فإن معنى الفساد كما ورد في الآية الكريمة {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا}(11) يتضمن معنى أوسع من ذلك، فالفساد هنا يشير إلى التدمير بجوانبه المادية والبيولوجية؛ تدمير الحياة من خلال المذابح والاضطهاد، ونهب المدن والأرياف، وتدمير المحاصيل والممتلكات، ومن الواضح أن هذا المعنى يتجاوز معنى الظلم الذي يشير إلى الجوانب الاجتماعية للاضطهاد.

ومن المهم هنا تمييز الفساد عن الكوارث الطبيعية كالهزات الأرضية، فالكائنات البشرية هي التي ترتكب أعمال الفساد، ولذلك يجد الفساد أصوله والتعبير عنه دائماً في الفعل الإنساني، وبذلك تكون درجة الفساد مرتبطة تماماً مع قدرة التكنولوجيا على تدمير ما يبنيه الإنسان.

هناك تمييز واضح في القرآن والسنة بين ما هو مباح في الجانب العسكري للكفاح أو الجهاد «في سبيل الله»، وبين تكنولوجيا الفساد العسكرية، الجهاد في الأساس هو جهاد في سبيل الله، وبما أن الله لا يحب الفساد، ولا يوافق على قتل الأبرياء، ولا الظلم، ولا الاضطهاد، فإن أي عمل يسمى عملاً جهادياً لا يكون كذلك إذا اختلف مع ما أراده الله فيه.

قال تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً}(12)،

وقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}(13)، وقال: { وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}(14).

وعلى المستوى الفردي، ينبه القرآن الكريم إلى ضرورة التمييز بين الأقوال والأفعال، ويدعونا إلى الحذر من الوقوع في الخطأ اعتماداً على ما نسمعه من كلام معسول أحياناً، لأن بعض المفسدين يمكن أن يلجأوا إلى ذلك لتغطية ما يمكن أن يقوموا به من مفاسد.

قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ} (15).

وفي السنة النبوية الشريفة ما يربطنا بالينابيع الإسلامية ويدعونا إلى التأمل في أخلاقيات المسلم الحق. قال الرسول الكريم : «وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانِياً، وَلَا طِفْلاً، وَلَا صَغِيراً، وَلَا امْرَأَةً» (16)، كما أن قواعد الجهاد التي أعلنها أبو بكر الصديق هي أيضاً بمثل هذا الوضوح، حين قال: «لا تقتلوا شاةً أو بعيراً، إلا من أجل الطعام، لا تحرقوا النمل، ولا تقطعوا الشجر المثمر ..».

هذه القواعد كلها تبعد المجاهد عن شر أولئك الذين يبذلون الجهد في الأرض لنشر الفساد بين الناس، ويدمروا المحاصيل والمواشي، وهي تعيدنا إلى الينابيع الأساسية للسلام كما عبّر عنها القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي.

ويلتقي هذا المفهوم الديني مع ما توصل إليه علماء النفس وعلماء الاجتماع الذين وجدوا أن أساس السلام هو السلام مع الذات، فإذا كان الإنسان على علاقة وئام مع ذاته كان ذلك مدعاة للسلام مع غيره، وأنه بدون السلام الذاتي النابع من أعماق الفرد والمعزز بالإيمان بالله وبكرامة الإنسان، التي يجب أن تصان في جميع الظروف، يتعذر وجود السلام، وتؤكد هذه الحقيقة الحالة النفسية التي كان عليها دعاة النازية والفاشية والدكتاتورية وأدعياء التفرق العرقي من أرباب المذاهب الدموية.

مراجع مختارة

1 – القرآن الكريم.
2 – الحديث النبوي الشريف.
3 – سيرة الخلفاء الراشدين.
4 – عبد الرحمن العيسوي، علم النفس العسكري، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية،1999، الصفحة 94 وما بعدها.
5– Hasan Askari,Muslim Approaches to Religious Sources of Peace, Newsletter of the Center for the Study of Islam and Christian – Muslim ,Selly Oak College, Birmington B29 6LE.
6– Hammuda Abdlatif, Islam In Focus, Am. Trust.pub., Indianapolis,1975.

الهوامش

1. الصافات: 4 – 5.
2. الحشر: 23 – 24.
3. المائدة: 48.
4. الحجرات: 9 – 10.
5. النساء: 75.
6. البقرة: 190.
7. البقرة: 208.
8. المائدة: 15 – 16.
9. الأنفال: 61.
10. فصّلت: 34.
11. الأعراف: 56.
12. المائدة: 32.
13. البقرة: 208.
14. يونس: 25.
15. البقرة: 204 – 205.
16. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين.

النسيج الاجتماعي وأثره في وحدة الأمة

الشيخ عمار توفيق بدوي / مفتي محافظة طولكرم

إنّ أيّ أمة تريد أن يكون لها شأنٌ في الحياة، وشوكة في الأرض، وديمومة في العطاء، فلا بدّ لها أن تكون ذات نسيج اجتماعي متين، تحافظ من خلاله على هويتها، وتأتلف نفوس أبنائها على المحبة، والخير، وتحقق صدق انتمائهم لأمتهم، وتردّ العاديات عنها.

وكلّ دارس لأمّة الإسلام، ومكوّناتها؛ يرى بأمّ عينيه كيف صنع الإسلام منها أمّة قويّة واحدة موحدة، في إطار العقيدة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، وإنّ هذا الدين خلق نسيجاً اجتماعياً فريداً في ائتلافه، فتلاصقت فيه مناكب المؤمنين، لحمل رسالة الإسلام، وتحصّنت الأمة بهذا النسيج، فآوت إلى ركن شديد.

كما حذر الإسلام من جملة أخطار تهدِّد النسيج الاجتماعي للأمة، وتفكِّك عراه؛ إذا استفحلت؛ فإنها قد تقضي عليه، ومن هذه الأخطار: الاختلاف، والفرقة، فقال الله سبحانه وتعالى : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا}(1). فالفرقة مدمِّرة للأمة، تفنيها، وتبدّد سعيها، وتهدّ نسيجها، وتبعثره، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أهلك من كان قبلكم، سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم»(2). كما حذّر الإسلام من النزاع، فهو طريق الفشل، قال الله سبحانه وتعالى: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} (3).

كما حرم الإسلام كلّ عمل، أو إشارة تصوّب إلى النسيج الاجتماعي، فترديه طعيناً قتيلاً؛ فتموت الأمة بذلك.

وامتازت الأمة الإسلامية بوحدة نسيجها الاجتماعي، وترابط أبنائها على امتداد الرقعة التي يتواجدون فيها؛ فهي أمّة تنتسب إلى دين التوحيد، قال الله عز وجل: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (4). وأمتنا قامت على التوحّد في علاقاتها، وشادت حضارتها بصفوفٍ متراصّةٍ، ومناكبَ متلاصقةٍ؛ حملت عليها أعباء التكليف الربّاني، ومهمة البناء الحضاري، والرسالة الخالدة لإسعاد البشرية.

وأطلق القرآن الكريم مصطلحاً فريداً عليها؛ هو مصطلح الأمة، فقال سبحانه وتعالى: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} (5).

هذه الدراسة المتواضعة بيّنت ملامح النظرة الإسلامية لوحدة النسيج الاجتماعي الذي يجني ثمار خيره كلّ من استظلّ بظلال رحمته، وعدله.

وقبل أن أعرض هذه الملامح، فإني أمهّد لذلك بنظرة دلالية على مفهوم النسيج الاجتماعي، والأمة؛ كي نسير برؤية نيّرة.

لقد تعددت مفاهيم الباحثين حول النسيج الاجتماعي، وحاولوا المَيز بين النظام الاجتماعي، وعلم الاجتماع، وحصر بعضهم النظام الاجتماعي في العلاقة بين الرجل والمرأة، وما ينبثق عنهما، ومدّ آخرون هذا المفهوم؛ ليصل إلى تنظيم شؤون الحياة بتنوعها، وتعددها(6)، وخشي بعض الباحثين؛ أن تفقد النظرية الاجتماعية معناها؛ لكثرة ما قيل في تعريفها(7).

وبعد تفكير وتدبر؛ أستطيع القول: إن النسيج الاجتماعي: «هو شبكة العلاقات القائمة بين الأمة».

وأما مصطلح الأمة، فهو ذات دلالة إيحائية إلى التجمع، والتوحد، كالأمّ التي تحتضن أبناءها. قيل: «وتفسير الأُم في كلّ معانيها أُمّة؛ لأنّ تأسيسه من حرفين صحيحين، والهاء

فيها أصلية»(8). «والأمّ لكل شيء، هو المَجمَع، والمَضَمّ»(9). «وكلّ شيء يضمّ إليه سائر ما يليه؛ فإنّ العرب تسمي ذلك أمّاً»(10). «ومعنى الأمة يدخل فيه معنى الارتباط، والوحدة»(11).

«والأمة: كلّ جماعة يجمعهم أمر ما؛ إما دين واحد؛ أو زمان واحد؛ أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً، أو اختياراً»(12). «والأمة: الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم»(13).

«والأمة في التعريف الإسلامي: هي مجموعة الناس التي تدين بعقيدة واحدة، وتصور واحد، وتدين لقيادة واحدة، وليست كما هي في المفهوم الجاهلي القديم، أو الحديث، مجموعة من الناس التي تسكن في إقليم واحد من الأرض، وتحكمها دولة واحدة»(14).

ملامح النسيج الاجتماعي لوحدة الأمة

ارتكزت الشريعة الإسلامية في بناء النسيج الاجتماعي لأمة الإسلام على أسس عريقة متينة، من هذه الأسس:

أولاً: المساواة الإنسانية بين الناس.

أحيت الشريعة الإسلامية قيمة الإنسان، كما خلقه الله سبحانه وتعالى ، وعدّت الخلْق كلهم متساوين في إنسانيتهم، فقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}(15). والبشر يحملون إشراقة الروح التي وهبهم الله تعالى، ولا فضل للون، أو لعِرقٍ، أو لطبقة، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(16). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس؛ ألا إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا

لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (17). وحاربت الشريعة، كلَّ أشكال الطبقية، والعنصرية التي سادت قبل الإسلام، وشتَّتت الأمة، ومزّقت نسيجها، وكان للمساواة الإنسانية أثرها الكبير على النسيج الاجتماعي، في توحّد الأمة.

ثانياً: الأخوة الإيمانية الجامعة

تفرد الإسلام ببناء نسيج اجتماعي متين، أرسى قواعده بعلاقة فريدة بين أفراده؛ هي علاقة الأخوة القائمة على الإيمان بالله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}(18).

وشرع النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيس وتعميق هذه الرابطة منذ اليوم الأول لدخوله المدينة المنورة، التي كانت تضم قبائل تختلف عن النسيج الاجتماعي القادم من مكة؛ فانصهروا جميعاً في نسيج واحد؛ هو الإخاء في الدين.

يقول الأستاذ مالك بن نبي: «إنّ شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده. ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، هو الميثاق الذي يربط بين المهاجرين، والأنصار» (19). كما أنّ الأخوة الإيمانية لها مقامات رفيعة في ظلِّ الله تعالى يوم القيامة.

ثالثاً: العدل

أرست الشريعة الإسلامية مفهوم العدل بين أبناء الأمة، وتفيأ ظلالَه كلُّ من انضوى تحت راية الإسلام، والعدل أمر إلهي، وليس مِنّة من أحد، قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(20). قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنها أجمع آية في القرآن»(21). وبهذا العدل اطمأنت نفوس الأمة، وزال عنها شبح الظلم، والعدوان، فشاركت في بناء الحضارة، واستقرت أحوال المجتمع، وحافظت على النسيج الاجتماعي من مشاعر الحقد، والكراهية، فالكلّ تحت قانون العدل سواء، حتى «الكافر لا يمنع من

العدل عليه»(22). وكذلك « ملكة الإسلام بالعدل»(23).

وبالعدل صانت الشريعة النسيج الاجتماعي من التمزق، والدمار، ووضّح النبي صلى الله عليه وسلم أثر غياب العدل على النسيج الاجتماعي، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أَهْلَكَ الَّذِينَ من قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليه الْحَدَّ، وأيم اللَّهِ لو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(24).

رابعاً: التعاون

التعاون قاعدة عريضة، من قواعد الشريعة، وأساس أقيم عليه النسيج الاجتماعي، والحياة في المجتمع الإسلامي، قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(25). والتعاون في كل مجالات الحياة، على مستوى الأفراد فيما بينهم من قضايا صغيرة، أو كبيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ ما كان الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ»(26) وكذلك التعاون على مستوى الأمة في التحديات الكبيرة، وأمثلة التعاون كثيرة؛ منها تعاون المسلمين في حفر الخندق حول المدينة لصدّ التحديات الخطيرة من عدوهم. فالتعاون يشعر أفراد الأمة بقوّة ترابطهم، وتماسكهم.

خامساً: شبكة العلاقات الأسرية المتينة

أقامت الشريعة شبكة من العلاقات الأسرية المتينة، وأوّل نواة لها هي الأسرة المكونة من الزوجين، قال الله سبحانه وتعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(27). وأطلقت على عقد الزواج، الميثاق الغليظ، {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً} (28). وأوجبت حقوقاً، وواجبات لكلا الطرفين؛ بحيث تتوثّق العرى بينهما، وشرعت أحكاماً مفصّلة لمعالجة أي خلاف يطرأ بينهما. كما فرضت للنسل المتولّد من الزوجين رعاية، وحقوقاً، وأوجبت عليهم واجبات غاية في الروعة، والمتانة؛ منها ما يتعلق بتربية الأولاد، وحقّ الوالدين،

وقرنت حقَّ الوالدين بحقِّ عبادة الله سبحانه وتعالى، {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}(29). وشرّعت تفصيلات دقيقة في نظام النفقات بين الأقارب، ونظام الإرث في تسلسلات مُحكمة، وكذلك ما يترتب على العائلة جميعاً من حقوق لأبنائها، في حالات الشدّة، والضراء، وأقامت أرقى نظام اجتماعي في حل مشكلات الأسرة.

سادساً: الأمة الإسلامية كلها رحم واحد

الأمة المسلمة متراحمة فيما بينها، فالرحم الأول الذي ينحدرون منه هو رحم الأخوة الإيمانية، وهو رحم جامع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر، والحمى»(30). والمسلمون متراحمون فيما بينهم، {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} (31). ووصف الله سبحانه وتعالى، الناجين من الهلاك، بقوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}(32).

سابعاً: صلة الرحم

عدّت الشريعة صلة الرحم، والتواصل فيما بينها من الفرائض، وعدّت قطيعة الأرحام سبباً من أسباب الفساد الاجتماعي، يدخل فاعله نار جهنّم، قال الله سبحانه وتعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}(33). وقال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة قاطع»(34). والرحم دوائر، منها ما يقع في دائرة الوجوب، ومنها ما يقع في دائرة الندب، قال الله سبحانه وتعالى : {وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} (35). وقال عز وجل: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ} (36). «والرحم اسم لكافة الأقارب»(37)، وهذه الصلة تعمّق روابط النسيج الاجتماعي.

ثامناً: سلسة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع

لقد عمّق الإسلام كلّ أشكال تمتين الجبهة الداخلية للأمّة؛ وذلك بمدّ حبال الوصل

بين أفرادها، عبر سلسلة من العلاقات الاجتماعية، منها:

أ- علاقة الجيران ببعضهم بعضاً: قال الله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ}(38). وقال صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني في الجار حتى ظننت أنه سيورّثه» (39).

ب- الأخوّة حقوق وواجبات: الأخوة التي صنعتها الشريعة، كانت ذات طابع اجتماعي، ورتّبت عليها حقوقاً وواجبات، وهي التزام شرعي، في القضايا المالية، والخلقية، وأطنب العلماء في شرح هذه الحقوق(40).

تاسعاً: جمع المسلمين في مواسم الخيرات تقوية لرابطتهم

حرص النبي صلى الله عليه وسلم منذ وصوله المدينة المنورة، أن يجمع المسلمين في مواسم الخير، فاجتماعهم فيه تقوية للروابط بينهم، واطلاع على أحوالهم، ومن ذلك اجتماعهم في صلاة الجماعة، والجمعة، وصلاة العيدين، والمؤتمر العام الشامل في فريضة الحج، فذلك كله يمتّن العلاقة بين أفراد الأمة. قال سبحانه وتعالى : {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرْ الْمُخْبِتِينَ}(41).

هذه بعض أسس قام عليها النسيج الاجتماعي لأمة الإسلام، وشادت به أمتنا أزهى حضارة أشرقت عليها الشمس، وما زالت أمتنا قادرة على استعادة ثقلها، ومركزها في العالم، ما تمسكت بهذا النهج القويم، والدين المتين.

الهوامش

1. آل عمران:103.
2. صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
3. الأنفال:46.
4. البقرة:163.
5. المؤمنون:52.
6. ينظر في تعدد هذه المفاهيم: رضوان، د. زينب: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي. 1مج. ط1. القاهرة: دار المعارف. 1982م. ص12. الخطيب، عمر عودة: المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية. 1مج. ط5. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1400هـ/1980م. ص12. النبهاني، تقي الدين: النظام الاجتماعي في الإسلام. 1مج. ط2. القدس. 1372هـ/1953م. ص4.
7. رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي. ص12، نقلاً عن : MERTON R. K. SOCIAL. AND SOCIAL STRUCTURE P5.
8. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب. 15مج. بيروت: دار صادر. مادة أمم. ج2ص29.
9. ابن منظور: لسان العرب. مادة أمم. ج2ص33.
10. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين. 8مج. تحقيق د مهدي مخزومي ود إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال. ج8ص29.
11. رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. 12مج. ط2. بيروت: دار الفكر. ج4ص38.
12. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن. 1مج. ط1. ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ/1997م. ص30. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات. 1مج. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1413هـ/1993م. ص176. ولمعاني الأمة في القرآن، ينظر: فرحات، د أحمد حسن: الأمة في دلالتها العربية والقرآنية. 1مج. ط1. عمّان: دار عمّار. 1403هـ/1983م. ص23.
13. المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي. 15مج. ط5. مصر: شركة مكتبة ومطبعة عيسى مصطفى الحلبي. 1394هـ/1974. ج4ص21، 22.
14. قطب، سيد: في ظلال القرآن. 6مج. ط9. بيروت: دار الشروق. 1400هـ/1980م. ج3ص1385.
15. النساء:1
16. الحجرات:13.
17. ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد. 6مج. مصر: مؤسسة قرطبة. ج5ص411.
18. الحجرات:10.

19. ابن نبي، مالك: ميلاد مجتمع. 1مج. ترجمة د عبد الصبور شاهين. 1401هـ/1981م. ص25.
20. النحل:90.
21. الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن. 30مج. بيروت: دار الفكر. 1405هـ. ج14ص163.
22. القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. 20مج. ط2. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة: دار الشعب. 1372هـ ج6ص110.
23. ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون. 1مج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ص148.
24. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار
25. سورة المائدة:2.
26. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.
27. الروم:21.
28. النساء:21.
29. الإسراء:23.
30. النيسابوي: صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
31. الفتح:29.
32. البلد:17.
33. محمد:22.
34. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب إثم القاطع.
35. الأنفال:75.
36. النساء:1.
37. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج5ص7.
38. النساء:26.
39. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاية بالجار.
40. ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين. دار الرشاد الحديثة. ج2ص194،173.
41. الحج:34.

منغصات الضمير !!

الأستاذ ياسين السعدي / جنين ـ فلسطين

كلمة الضمير في اللغة، مأخوذة من الفعل الرباعي (أضمر)؛ أي خبأ في ذاته، واحتفظ بالسر بينه وبين نفسه، وفي المنجد: أضمر الأمر: أخفاه، وأضمر في نفسه شيئاً: عزم عليه، وأضمر الخبر: استقصاه، وأضمرت الأرض فلاناً: غيبته بسفر أو موت. ويقول كذلك: الضمير والمضمر: المخفي، والضمير جمع ضمائر: باطن الإنسان.

وقد ورد هذا المعنى في إحدى حكم الإمام علي، كرم الله وجهه، حيث يقول: (ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه).

وقد تطور الاصطلاح ليشمل معنى القيم والمثل والأخلاق التي يضمرها الإنسان؛ أي يخفيها في ذاته، ويحتفظ بها لنفسه، ويحافظ عليها كأغلى ما يملك، ومن الواضح أن معنى الضمير يحتوي على الأخلاقيات والمثاليات في السلوك الإنساني، والتي يطمح إليها الإنسان؛ صاحب الخلق وحامل المبادئ.

ومن هنا جاء عنوان زاويتي الأسبوعية التي أكتبها في جريدة (القدس) الغراء، يوم الأحد من كل أسبوع تحت عنوان: (هدير الضمير)؛ أي اصطخاب المشاعر والأحاسيس، واضطراب المشاعر في الذات وارتطام القيم التي تصطدم مع واقع مغاير لما نرجوه جميعاً، وما نطمح إليه أو نطمع فيه، ونأمل تحقيقه.

متى يتوجع الضمير

يتوجع الضمير ويصاب بالإحباط والمنغصات؛ عندما يرى الأمور قد صارت معكوسة وغدت على النقيض مما يرجوه ويأمله، وتختلف عما يتوقع الإنسان حدوثه، أو يرجو ذلك ويتمناه؛ فتأتي منافية لكل منطق، ومخالفة للعقل، وبعيدة عن الفهم والإدراك، عندها يتوجع الضمير ويتألم؛ بل يتفجع عندما يدرك أن الأوضاع تصير من هوان إلى هوان، وتزداد سوءاً وتعقيداً.

يتوجع الضمير ويتألم، ويصاب بالإحباط والمنغصات عندما يرى اللص يعظ في موضوع الأمانة، ويحث عليها، ويتحدث عنها، ويمجد الأمناء، ويصاب الضمير بالصدمة والذهول وهو يرى الوضيع في المكان الرفيع، ويتحكم الأشرار بالشرفاء والأحرار، أو وهو يرى المتزلفين والمنافقين يقررون مصير (المحترمين). ويصاب الضمير بالذهول إذا اكتشف أن المريب يضع النظريات في القضايا الوطنية، ويصنف الناس ويعطيهم أقدارهم.

إن أكبر مصيبة تلم بالضمير؛ هي عندما يعلم أن منحرفاً صار يحاسب في السلوكات، ويعاقب في الانحرافات الأخلاقية، وأن (لوطياً) يتهم الأشراف بالرذيلة، ويعير الأبطال بالانخذال. وليس أشد وطأة على الضمير من أن يرى صاحب جهاد وتضحيات؛ وقد انزوى في بيته وانطوى على ذاته؛ بينما منافق سلوكياً ومراهق سياسياً يعلو المنابر، ويتصدر المجالس ويتكلم في أمر (العامة)، ويتحدث في قضايا المجتمع.

منغصات الضمير كثيرة

كل ما يطالعنا في حياتنا من السلبيات والانخذالات والتزويرات في الوطن الصغير، أو الوطن الكبير، يعتبر من منغصات الضمير، وكل ما يجري من تطاول الأقزام وارتقاء الأزلام، هو أيضاً من منغصات الضمير وموجعاته، وما نراه من الفوضى والانفلات في الحياة العامة، وما يرافق ذلك من السلوكات المهلكات، هو أعلى درجات منغصات الضمير.

كيف يكون حال الضمير الحر؛ وهو يشاهد المهازل والمباذل؟ كيف يكون حال الضمير الحر، وهو يرى (الطراطير) في مواقع الأبطال وأصحاب الفضل وأهل الفداء والتضحيات والمروءات؟

كيف لا تحدث الصدمة لصاحب الضمير، وهو يرى أساليب التزوير، ويشاهد مسرحيات التغرير، ويستمع إلى بيانات الإنجازات الوهمية؟ كيف لا يتألم ويتوجع، وهو يعلم أن كثيراً مما يسمع، من ادعاءات هي أباطيل وأضاليل؟

الاحتفالات الوهمية والخداعية، و(عنفصات) المريبين في الشوارع والطرقات، وإطلاق الرصاص في المناسبات كما كان سائداً قبل ضبط الأمور، والأهازيج الكاذبات، هي من منغصات الضمير، بل هي من مهلكاته هماً وغماً ووجعاً وألماً؛ لأن ما يتفاعل في أعماق الضمير يغاير ما يجري ويناقضه، ويختلف عما ألفه الضمير وتعوده وتربى عليه، ونشأ على اعتقاده واعتناقه.

يتطلع المرء حوله فلا يرى بصيص أمل؛ بالرغم من الإيمان بحتمية التغيير، وإشراقة الأمل من جديد. لكن المؤلم؛ أنك تصرخ بأعلى صوتك ولا يسمعك اللاهثون والعابثون، والذين تظللهم، أوهام وتحكمهم مطامع لا تستحق الالتفات أو (الهرولات). فكيف لا تكون كل هذه من المنغصات؟

تضيق الحياة بالناس ضمن مخطط لئيم ومدروس؛ لكي يدب اليأس في النفوس، ويشعر الناس بالإحباط من أجل كسر الإرادة، ولذلك صار استجداء التصاريح حتى لدخول القدس، مطلباً تعجيزياً، أو ليس مثل هذا الأمر من المنغصات؟ صارت أكبر هموم المواطن، هي الحصول على فرصة عمل في مزرعة إسرائيلية أو مصنع أو ورشة، بعد أن كنا نطارد الذين كانوا يتسللون للعمل في إسرائيل، فصرنا نعتبر الحصول على التصاريح من الإنجازات، أو ليس هذا من المنغصات؟

إنهم يقصدون إذلال المجتمع وتحطيم الإرادة؛ لينسى الناس كل شيء، إلا لقمة العيش المغموسة بالذل والمجبولة بالمهانة، وكم هم الذين يحصلون على تصاريح العمل؟ كم هم المحظوظون اليوم الذين كانوا يعتبرون خارجين على الصف الوطني إذا خرجوا إلى العمل في إسرائيل؟

صدمة الضمير

ما من صدمة أشد على الضمير من أن يرى نقيض المبادئ و(الثوابت الوطنية) يصير أساس المطالب وجوهر الأهداف! ما من صدمة أشد على الضمير من أن يرى دعاة المُثُل، يتحولون إلى عرّابي التحلل منها، وأن يرى من كانوا دعاة الطهر السلوكي، قد تحولوا إلى المناداة بالعهر السياسي!!

من أسباب صدمة الضمير، أن نرى من اتهموا في الماضي القريب بالعمالة والخيانة، وتم الاعتداء عليهم وردعهم، وإذا بهم يجلسون في موقع الحوذي من العربة، ويصير لهم الصدارة والاعتبار، وموقع اتخاذ القرار، كم من الذين كانوا موضع الريبة، صاروا من المقربين، ولهم الحظوة، ورأيهم متبوع وقولهم مسموع؟

في مناسبة من مناسبات التزوير والتغرير، كانت الصدمة على ضميري أشد وقعاً وأعظم ألماً وهوْلاً؛ عندما قدم عريف الحفل أحدهم ونعته ب (المناضل)، وهو ممن لهم (ماضيهم النضالي المعروف)! أمثال هؤلاء يتكلمون في المناسبات ويدعون التمثيل؛ مما يصيب الضمير بالغصة ويوجع القلب، ويجعل المرء يكره زمانه.

في دفتري القديم؛ منذ كنت طالباً، وجدت هذا البيت من الشعر، وقد كتبت بجانبه اسم الأستاذ المرحوم، أحمد الطيبي، أبوهشام، الذي كان موجهاً للغة العربية في الستينات، ولا زلت أتذكره:

هي الحياة لغير الحر ما صلحت ولا لغير الفتى الفتّاك لم تصر!!

التعليم العالي والتنمية البشرية

الدكتور حمزة ذيب / جامعة القدس

يعدُّ التعليم العالي أهم قواعد النهوض بالمجتمعات البشرية وأركانها، وإن كان هناك تنمية بشرية، فالتعليم عمودها الفقري وقلبها النابض، وليس هناك من مبالغة أو حياد عن الحقيقة إن قلنا: لا تنمية بشرية بلا علم، ولا تقدم ولا تطور، ولا نهضة اجتماعية وبشرية تتحقق إن كانت عارية عن العلم والمعرفة وتبادل المعلومات.

لذا كان من أسس التوجيه لآخر رسالة سماوية تعنى بشؤون بني آدم والحياة البشرية بشكل عام، وهي الدستور لحياة بشرية أمثل، كان من أسس توجيهها للإنسان أن لفتت نظره إلى العلم، بل أوجبت عليه أن يتعلم ويفكر، ولأهمية بيان هذا الشأن كانت أول كلمة في أول آية تنزل من آي القرآن الكريم «إقرأ»(1)

إذ كيف ستكون تنمية بشرية، أو تطور، لحياة الإنسان، والإنسان جاهل وغير عالم؟ ما الذي أوصل الإنسان المعاصر المتقدم والمتطور إلى ما هو عليه الآن من الصناعة والتقنية والتكنولوجيا؟

ما الذي جعل من المجتمعات البشرية مجتمعات متقدمة ومجتمعات نامية؟

على أي أساس قسم العالم إلى دول العالم الأول والثاني والثالث؟ أليس العلم والمعامل والأبحاث والأدوات الخادمة للحصول على هذا الهدف وتطويره هي الأساس في كل ما تقدم؟

قال مؤلفا كتاب «التنمية الاجتماعية بين النظرية والتطبيق»: ولو أخذنا نظم التعليم

مثلاً في الدول المتقدمة لألفيناها قد اتفقت كلها على قيمته وجدواه كمدخل لا غنى عنه للوصول إلى أرقى ما بلغه العلم وما أنتجته التكنولوجيا الحديثة أ.هـ.(2)

ومن المعروف أن البشرية والمجتمعات مختلفة الجوانب ومتعددة المجالات في قضايا التنمية وتشعب الحياة، فكما أنها بحاجة إلى جملة من المعلمين أو المدرسين يعلمون الطلبة في المدارس، فهي بحاجة إلى الطواقم الطبية والصحية والتمريضية في الميادين الطبية والصحية، وبحاجة إلى المهندسين والمساحين وفنيي الإعمار في مجالات الهندسة الميكانيكية، إلى الحاسوب «الكمبيوتر»، إلى الطب، إلى البترول والزراعة، وما إلى ذلك من فروع متعددة ومختلفة.

والأمر كذلك في كل مرافق الحياة من صناعية وزراعية وتقنيات مختلفة، غير أننا وللأسف في مجتمعاتنا العربية بوجه عام لا نولي اهتماماً كبيراً للمجال التقني والمهني والصناعي، إما لعدم توافر البرامج والتدريبات والخبرات والكفاءات الملائمة والمناسبة في بعض المجالات كالتقنية مثلاً، وإما لأننا لا نعتبر البعض منها علوماً تحترم وكفاءات في ميدانها تقدر، فلا ينظر إليها بعين مليئة ونظرة فيها الاحترام والتقدير لذويها وأصحابها، وبالتالي نعزف عنها كآباء ومربين وطلبة، وذلك كالمجالات المهنية والصناعية، ونعتبر التعليم الأكاديمي هو الأول والأخير ولا علم سواه، ومن لم يحالفه الحظ في التعليم الأكاديمي فيتوجه إلى هذه الوجهة، فالنظرة لمثل هذه التخصصات وأصحابها نظرة دونية، مما نجد العزوف عن هذه المجالات لدى الطلبة المتفوقين وذوي الاقتدار الذهني والفني، ومن ورائهم وعلى نهجهم الآباء والمربون والمخططون والموجهون، ولربما أولئك نتاج هؤلاء، فتكون هذه النظرة حيال تلك العلوم ومنتسبيها نابعة من الفلسفة لدى مجتمعاتنا بوجه عام تجاه هذه التخصصات المهنية، وطريقة تقويم أصحابها والمنتسبين لعلومها والحاملين لها.

وفي معرض الأهمية البالغة لهذه العلوم وضرورة الاهتمام بها يقول الدكتور عبد الله عبد الدايم: تشير الدراسات الحديثة إلى الدور الحاسم الذي يلعبه تجديد مناهج التربية وطرائقها في خلق الأساس الضروري والمناخ اللازم للثورة العلمية والتكنولوجية، وتبين

هذه الدراسات أن كل تطوير في التربية وفق مطالب التقدم العلمي والتكنولوجي يظل عاجزاً ومقصراً عن الشأن المطلوب، إذا لم يتناول تطوير مناهج التربية وطرائقها خاصة، بحيث تغمر هذه المناهج والطرائق وتسودها روح الثورة العلمية والتكنولوجية، وبحيث تستطيع أن تولد لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم المواقف والاتجاهات النفسية التي تحرك تلك الثورة أ.هـ(3)

وعادة وهذا الشأن والأمر في كل الميادين سواء أكانت أكاديمية أم مهنية أم تكنولوجية أو زراعية، إذا لم تطور من ذوي الفهوم والعقول النيرة المبدعة وذوي الاهتمام الكبير والإخلاص في التوجه وحياطة المجتمع لهذه الثلة المطورة المبدعة بكل رعاية وعناية وتسهيل الصعب لهم، وتوفير كل ما يلزم من أدوات، ومختبرات، وأموال، وتبادل المعلومات، والدورات المتكررة لدى الدول المتقدمة في هذه الميادين والمجالات، إذا لم يتم كل ذلك فهل هناك من إبداع، وتطور، وابتكارات كثيرة ستتم في هذه المجالات والميادين، والعلوم المختلفة؟

فإذا كان حظ كثير من مرافق التنمية البشرية ومسارات الإبداع، التي هي سبب في ارتقاء المجتمعات وتطورها ونموها ضعيفاً، ولا يحظى بالنسبة الأعلى من التقدير والرعاية والتمييز والاهتمام، كيف حينئذ سيكون سيرنا في دروب التنمية البشرية سليماً وخالياً من العثار والظلمة؟

يقول د. قسطنطين زريق(4): إن عظمة الدول الكبرى ترجع في المحل الأول إلى قوتها البشرية، أوبالأحرى إلى ثروتها البشرية المنتجة الخلاقة المبدعة، وليس إلى ما يوجد لديها من ثروات معدنية أو طبيعية؛ لأنها هي القوة التي تخرج الطاقات الطبيعية إلى حيز الوجود، هذه الثروة البشرية تتمثل في المهارات «الفنية» والعلمية على مختلف المستويات، وبخاصة المستويات العليا حيث التحسين والتجديد والاختراع، إنها الكفاءات العقلية المتفتحة المولعة في اكتشاف الحقائق الطبيعية الإنسانية المخترقة آفاق المعرفة أفقاً بعد أفق، المضيفة إلى ذخيرتها حصيلة تلو حصيلة، إنها الطاقات المحققة المروضة على بحث المشكلات الإنسانية بحثاً موضوعياً، وعلى استخراج أسبابها الحقيقية، ومعالجتها معالجة

ناجحة، إنها الهيئات النفسية المتطلعة إلى المستقبل، المنطلقة للرؤيا القادرة على تحقيقها بالتخطيط والتنظيم، إنها باختصار قدرة العلم الجبارة التي قلبت حياة المجتمعات المتطورة رأسا على عقب، وهيأت لأصحابها إمكانات النشاط والحرية والغنى والثراء وأسباب الفعل النافذ في الطبيعة، وفي المجتمعات الإنسانية الأخرى أ.هـ.

وفي ظل الأبحاث المعدة حول دور هذا النمط من التعليم في تنمية الحياة البشرية، **هل لنا أن نطرح بعض التساؤلات حول اهتمام التعليم العالي في وطننا العربي بالتعليم التقني والتكنولوجي والمهني، لنقول:**

ما درجة اهتمام التعليم العالي في وطننا الكبير بالتعليم التقني والتكنولوجي والمهني؟ ما الخطط والبرامج التي تضعها وزارات التعليم العالي في وطننا الكبير لتطوير هذا النوع من العلوم والمعارف والمجالات الصناعية والمهنية؟

كم هي نسبة الأموال اللازمة لمثل هذه التوجهات ذات الضرورة لتطوير المجتمع وتنميته البشرية المرصودة في موازنات وزارات التعليم العالي، والمخصصة لمثل هذه الأغراض تحديداً؟ ما الأبواب والمجالات والدروب التي تفتحها وزارات التعليم العالي عندنا معشر العرب لمثل هذا النوع من التخصصات المهمة والضرورية وتحاول تسهيل كل أمر صعب أمام من لديه الرغبة في ذلك من أبنائنا الطلبة؟

ما السياسة العامة والخاصة التي تسلكها وزارات التعليم العالي في انتقاء نوعية مميزة من أبنائنا الطلبة المتفوقين واختيارها، كي يكونوا في المستقبل العناصر التي تضع مجتمعاتنا على الجادة والسبل الميسرة والموطأة نحو الإبداع والتطوير والتنمية الشاملة؟

هل فكرنا نحن معشر الأكاديميين بوجه عام والتعليم العالي بشكل خاص في تطوير هذه الاختصاصات وأصحابها بعد اختيارهم من ذوي المعدلات العالية والعقول النيرة؟ ولربما هذا التساؤل يتفق في بعض الجوانب مع التساؤل الثاني.

هذه أسئلة ملحة تطرح، ويجب أن تطرح، لأن ذلك له علاقة مباشرة ووطيدة بوجه التطوير ورقي المجتمعات والتنمية البشرية.

ويشير عالم الاجتماع الشهير «باتن» إلى أن تنمية المجتمع البشري تعني تطوير مستويات

الحياة نحو الأحسن من خلال الاستخدام الأكثر كفاءة للموارد الطبيعية والقضاء على الأمية ورفع المستويات الصحية والثقافية.(5)

وفي ضوء ما تقدم يجب القول بأن سياسات القبول في مؤسسات التعليم يجب أن تكون متساوقة ومتفقة مع خطط التنمية البشرية وأهدافها، حيث من أهم الأدوار التي يجب أن تؤديه الجامعات إنما هو خدمة المجتمع، بمعنى أن العلوم التي تدرس في الجامعات يجب أن تكون ذات ارتباط وثيق بأهداف المجتمع، كما يجب أن تصب في خدمة البشرية، وتنمية مرافقها، والعمل على تطويرها، والارتقاء بها، وإلا ما فائدة علوم تدرس لا تمت إلى الواقع والواقع الثقافي بصلة؟ كان نبي الله محمد صلوات الله عليه يستعيذ من العلم الذي لا ينفع، إذ ورد ذلك في قولهﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع...»(6).

بل، ما فائدة علوم تدرس وتنفق عليها هذه الأموال الطائلة والكثيرة، والجدوى منها ضئيلة وقليلة في حين لو أنفقت هذه الأموال أو نصفها على دول فقيرة ومجتمعات متخلفة ونامية –وهي كثيرة في بلدان العالم الثالث– لكان ذلك أولى وأجدى وأكثر فائدة لصالح البشرية وخدمة الإنسانية. هذا ما يحصل بالمقارنة ما بين دول الغرب –وبخاصة أمريكا– ودول أخرى كالقارة السوداء، حيث يطلق الغرب هذا المصطلح واللفظ.

بل ما فائدة علوم تنفق عليها المليارات وهي ضارة جداً بالمجتمعات البشرية، وفتاكة لدرجة الاستئصال للنوع الإنساني بل والحيواني، كالإنفاق في وجوه التسلح غير المشروع والدمار الشامل والمحظور دولياً من أسلحة ذرية ونووية وجرثومية وبيولوجية؟

فالأصل في التعليم العالي ما كان نابعاً من احتياجات المجتمع إليه وإلى أقسامه وفروعه، وما كان منه خادماً لظروف المجتمع وتطلعاته وآفاقه المستقبلية.

من هنا يجب أن تتحدد سياسات القبول في مؤسسات التعليم العالي وفقاً لما يخدم هذه الأغراض وما كان على شاكلتها ومثيلاتها.

يقول الدكتور عبد الرحمن عيسوي، تحت عنوان «تطور وظيفة الجامعة»(7)

لقد تطورت وظيفة الجامعة في العصر الحديث واتسعت، ولم تعد مجرد تخريج عدد من

المهندسين أو الأطباء، بل أصبحت قائدة لخطى التطور والتقدم بما تكشفه من حقائق، وما تسهم به من حلول للمشكلات الراهنة والمستقبلية، فالجامعة تسهم في مواجهة تحديات العصر ومتطلباته، ونشر المعرفة وتوسيع آفاقها، ولهذا ينبغي أن يتناغم النهوض بالجامعة مع خطط التنمية الشاملة لأنه أحد عناصر المهمة أ.هـ.

يقول الدكتور محمد منير مرسي في كتابه «التعليم الجامعي المعاصر: قضاياه واتجاهاته»(8)، ويكاد يكون هناك شبه إجماع على أن الوظائف الرئيسة للجامعة المعاصرة تندرج تحت ثلاثة عناوين رئيسة، هي(9):

- إعداد القوى البشرية
- البحث العلمي
- التنشيط الثقافي والفكري العام

ومما قاله الدكتور محمد منير أثناء معالجته للبند الأول: من أهم الوظائف التي ارتبطت بالتعليم الجامعي منذ نشأته في العصور الوسطى الإعداد للمهن المختلفة في الآداب والقانون والطب واللاهوت (10) .... وقال: وقد تطورت التخصصات الجامعية مع تطور العلوم المختلفة واستحداث تخصصات جديدة منها، ففي القرن التاسع عشر بدأت الجامعة تهتم بالإعداد لمهنة التدريس والمهن الأخرى كالهندسة والزراعة والعلوم الطبيعية والاجتماعية، فلم تعد هذه الميادين مجالاً للهواة من المثقفين، بل أصبحت تخصصات أساسية في الجامعة. وفي القرن العشرين أضيفت تخصصات أخرى مثل إدارة الأعمال والصحافة وعلوم المكتبات والشؤون العالمية أ.هـ.

قلت: كما أضيفت تخصصات أخر على رأسها الحاسوب «الكمبيوتر» وعلومه الهندسية، وعلم التصنيع الغذائي، والإعلام، والعلوم السياسية. وهناك المعاهد والمؤسسات العلمية الخاصة بالتقنية والتكنولوجيا، وما إلى ذلك من علوم وتخصصات مستجدة، وتستجد في كل يوم.

ويتابع الدكتور محمد منير قوله: «وتسهم الجامعة بدور مباشر في تنمية اقتصاد المجتمع واستخدام موارده وثرواته وتنشيط مؤسساته الصناعية بما تخرجه من كفاءات قادرة على

تطوير وسائل الإنتاج»، ومن هذا يتضح أن الجامعة من أهم ركائز التقدم الاقتصادي والاجتماعي وتحقيق الرفاهية والرخاء للمجتمع الذي تخدمه، ومسؤوليتها في هذا أضخم في الدول النامية، لأن عليها الإسراع بمعدل النمو لتعويض ما فاتها، وهي إزاء هذه المسؤولية الضخمة تعمل في موارد محدودة ومناخ مثبط، على عكس الجامعة في الدول المتقدمة حيث تعمل في واقع يعطيها اندفاعة قوية، وفي مناخ يشدها ويؤازرها، وبهذا يصبح العبء أكثر على جامعات المجتمعات النامية في إعداد الكوادر البشرية الضرورية للنهوض بهذه المجتمعات أ.هـ(11)

فرص التعليم العالي للإناث والإمكانات المتاحة لتنمية المرأة

مما لا شك فيه أن المرأة تحتل مكانة في المجتمع لدرجة النصف أو تزيد قليلاً في بعض المجتمعات، فإذا أغفلنا جانب المرأة نكون قد أغفلنا وعطلنا نسبة لا يستهان بها في المجتمع، جاء في كتاب «التنمية الاجتماعية بين النظرية والتطبيق» ما نصه: «أما في الدول المتخلفة فإن الكثير من أنظمتها الاجتماعية تعوق حركتها فلا تتقدم، ومن أمثلة ذلك؛ اعتماد أفرادها على ربها في تدبير معاشها، واستعباد الرجل للمرأة كما لو كانت ملكاً أو متاعاً له، وهذا حسبها ونصيبها، أما أن تتعلم وتعمل لتكون منتجة، فهذا أمر صعب المنال، إن لم يكن محالاً، ومن هنا جاء تعطل استثمار نصف الدولة» أ.هـ(12)

وإذا ما كان الرجل يشكل عموداً فقرياً للمجتمع، فالمرأة تعني قلب هذا المجتمع النابض، والمجتمع البشري بمثابة الطائر ذي الجناحين، لا يقوى على الطيران بجناح دون الآخر، فالرجل والمرأة هما جناحا المجتمع، ومن الممكن القول: إن المرأة في المجتمع ذات أهداف متعددة، فكما أنها عاملة ورائدة في كثير من الميادين، فهي الأم الرؤوم لا محالة، ومديرة مصنع الأسرة، ومسؤولة عن خط انتاج النباتات الصالحة لبناء صرح المجتمع العظيم، إذ الأم في معظم الأحيان هي التي تتعامل وتشرف على تربية أفراد الأسرة، وكلما كانت الأم ناضجة وواعية ومثقفة، كلما كانت ناجحة في حسن إدارة دفة هذه التربية، وكانت لديها القدرة على التعامل مع الأبناء وتنشئتهم التنشئة الصالحة السوية، وبالتالي نستطيع في نهاية المطاف أن نحوز أو نبني مجتمعاً واعياً ناضجاً ناجحاً ذا

تربية قويمة وأخلاق نبيلة، وهذه هي غاية الطلب من المجتمعات في ظل نشدان السعادة والرفاهية والطمأنينة، ونحن هنا لا نقول بأن المرأة لا تصلح إلا لهذا الغرض وكفى، علماً أنه غرض سام وهدف نبيل، ولو استطعنا تحقيق النجاح في هذا المطلب الأجل، نكون حينئذ قد قطعنا الشوط الأكبر في المسافة الأطول نحو الغاية البشرية وأمنيات المجتمعات الإنسانية، وهذا ما يهدف إليه الإنسان في حياته على ظهر هذا الكوكب عبر مسارات البشرية الضيقة في كثير من مراحلها، والمظلمة في البعض منها.

غير أن الحياة الإنسانية والبشرية المعاصرة لربما تحتم على المرأة أن تكون في ميادين أخر غير ميدان الأسرة والمنزل، و لربما كان هذا في كثير من العصور، سوى أن العصر الذي نعيشه ونحياه من الممكن أن يكون بصورة أكبر وآكد، نظراً للطروءات والتغيرات الكبيرة التي اعترت الحياة البشرية دون أن يصاحبها عبر مراحلها التاريخية ما يصاحبها الآن في مجال الصناعة والتقنية والتكنولوجيا ذات التطور المذهل والمستمر يوماً إثر آخر.

جاء في كتاب «علم اجتماع التنمية» ما نصه:

«ويمكن القول بأن تغير المكانة الاجتماعية للمرأة هو سبب ونتيجة في آن واحد للتغير في بناء الأسرة وفي وظائفها، فمن حيث البناء الأسري تتجه نحو الشكل الزواجي الصغير، ومن حيث الوظيفة تفتقد العديد من وظائفها التقليدية نتيجة لظهور مؤسسات متخصصة تؤدي تلك الوظائف التي كانت تقوم بها الأسرة بشكل غير متخصص، يضاف إلى هذا أن من طبيعة عملية التحديث الحضاري ذاتها أن تغير معايير التقويم الاجتماعي ونسق المراكز والأدوار، أما ما يطلق عليه «هاري جونسون» الأوضاع الاجتماعية، فمع اتساع معدلات النمو الحضاري والتقدم الصناعي وانتشار التعليم، تتاح الفرص أمام النساء للتحرر والتعليم والعمل، وتحقيق قدر كبير من الاستقلال الاقتصادي، سواء قبل الزواج أو حتى أثناء الزواج، هذا إلى جانب أن ظهور الخدمات المتخصصة في رعاية الأطفال وإعداد الوجبات الغذائية والخدمة المنزلية ....إلخ ساعد المرأة المتزوجة على تخصيص جزء كبير من وقتها للعمل، يضاف إلى هذا أن تزايد

ضغوط الحياة الحضرية سواء من الناحية المادية أو من الناحية النفسية استوجب خروج المرأة للعمل، وجعل منه ضرورة بالنسبة لكثير من الأسر أ.هـ (13)

ولكي تستطيع المرأة الدخول إلى ميادين الحياة المختلفة، لا بد أن تتاح لها فرص التعليم العالي، إذ لا تستطيع المرأة دخول الساحات العملية للمجتمع وهي غير مكتملة التعليم، أو ليس عندها الحد الأدنى من المؤهلات المطلوبة للعمل المراد، فإذا ما أردنا الإفادة من المرأة ذات النسبة العالية في المجتمع، في زمن أصبح التعليم فيه كما الأكل والشرب، وتناوله من السهولة بمكان وضرورته حتم لازم نظراً لتطور الحياة وتقدمها في المجالات كافة، فإذا ما أردنا وضع المرأة في المكان اللائق والمفيد لا بد –وهذه ضربة لازب– من فتح أبواب التعليم العالي وآفاقه أمام المرأة، وأن نهيىء لها فرصة التعليم والبحث والثقافة تماماً كما هو الحال بالنسبة للرجل، حيث تتمتع المرأة بالعقل والفهم والذكاء، إذ لا فرق بينها وبين عالم الرجل بشكل عام، ونحن معشر العرب والمسلمين لنا الفخر والاعتزاز بأن الإسلام كرم المرأة وأحلها المكانة التي تليق، وفتح أمامها المجالات المتعددة في الحياة، وحفظ لها حقوقها المشروعة؛ من حقها في الحياة، بل الحياة الكريمة، إلى حقها في العمل والتعليم والاقتصاد، وحرية الرأي واختيار شريك الحياة، وتاريخ الحضارة الإسلامية على مر الأزمنة والعصور شاهد حي على ذلك في بغداد، ودمشق، والقاهرة، وبيت المقدس، والري، وقرطبة، وغرناطة، وفاس، والقيروان، وسائر الحواضر العربية والإسلامية، كل ذلك في أزمنة كانت المرأة فيها لدى الحضارات والشعوب مظلومة مضطهدة طريدة من مجالس العلم والفضل والكرامة، وإذا ما ذكرت المرأة حينها وشبهت، شبهت بأسوأ ما يظن ويعتقد، كأن تشبه بالشيطان أو تضرب بمثل السوء، وحذار من الاغترار بما عليه المرأة الغربية، حيث جعلت بمثابة السلعة، والسلعة الرخيصة، تستغل في كثير من جوانب حياتها لأغراض تجارية أو أهداف مبتذلة رخيصة وغير شريفة، فنحن مع ما يطور المرأة ويجعل منها إنسانة واعية متعلمة ناضجة، تمارس حقها الطبيعي والفطري والمشروع بكل قوة واقتدار.

غير أنه لا بد من الوقفة البسيطة بعض الشيء، فما يتعلق بفلسفة الحياة لدى المرأة

الشرقية؛ ونعني بها المرأة والفتاة العربية والمسلمة، إذ لا يجوز للمرأة العربية والمسلمة أن تنصهر في بوتقة الفتاة والمرأة الغربية، كما لا يجوز لها أن تقلدها في كل صغيرة وكبيرة دون النظر لمعطيات الحضارة الإسلامية العملاقة وفلسفتها ذات الأصالة، والمحتد العظيم والمتباين في كثير من جوانبه مع الفلسفة الغربية في نظرها للحياة والمرأة على وجه الخصوص، فللمرأة المسلمة كتاب ربها الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الهادي للتي هي أقوم وسواء السبيل، ولها الحكمة البالغة من هدي نبيها الكريم صلوات الله عليه، ولها ما عليه أئمة الإسلام وفقهاء الدين الحنيف، والتطبيق والترجمة العملية لهذه الأحكام والمبادئ والآراء طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان، فإذا ما تطورت أوروبا وأمريكا والغرب بوجه عام تطور الآلة في الجوانب المادية والحياتية -ونحن أصول هذا التطور وجذوره- حيث أخذ الغرب بكل أسباب التقدم والتطور، وهي كثيرة ومتعددة ولا مجال لذكرها عبر هذا البحث والمخصص لأغراض أخر، وتركنا نحن في المقابل ما سطرناه أصولاً لنا في الماضي، والماضي غير البعيد، وتركنا ما صنعه لنا السلف الأوائل من الآباء والأجداد والعلماء في كل ميادين الحياة، فإذا ما وصلنا إلى مرحلة متأخرة في الجوانب المادية سارعنا إلى التنكر لأصالتنا وحضارتنا، وحاولنا جهدنا الانسلاخ من الجلد، وجلد الذات، ولم نتورع عن الانصهار في بوتقات الآخرين، وعدم محاولة رؤية النفس على وجه صحيح، وذابت هويتنا في هويات الآخرين، وتركت المرأة المسلمة ما كانت عليه من العفاف والنقاء والتقى، وخرجت سافرة مبدية عوراتها حيث خلعت الحجاب وآثرت السفور، كل ذلك تقليد للمرأة الأوروبية بغير هدى أو حجة ناهضة، فالمتوجب أن نكون مع الأصالة وأن نحافظ على الهوية والحضارة والتاريخ في الوقت الذي ننفتح فيه على الحياة والحضارة الأوروبية بوجه خاص، وأن نأخذ منها ومن غيرها كل نافع ومفيد وبناء، بحيث نكون قد جمعنا في الوقت نفسه ما بين الطرافة والتلادة والأصالة والمعاصرة.

العائد الفردي والاجتماعي للتعليم العالي الحكومي والأهلي في ظل سياسات التنمية وفي ظل الانفتاح ومفاهيم الاستثمار

مما لا ريب فيه أن هناك علاقة وثيقة ومباشرة ما بين مفاهيم الاستثمار وسياسات التنمية، والذي لا شك فيه أيضاً أن التعليم العالي يعدُّ نوعاً وشكلاً من أنواع الاستثمار في زمن الانفتاح الثقافي والمعرفي والاقتصادي وقضايا العولمة وأشكاله في كثير من جوانبها، وهناك التعليم العالي بنوعيه الحكومي والخاص، وإن كان الاستثمار بادياً بصورة أكبر وأكثر في التعليم العالي الخاص، غير أن النوعين يعتبران رافدين من روافد الاقتصاد، وطريقين من طرائق دعم الموازنات العامة والخاصة، ففيما يتعلق بالتعليم الحكومي؛ فالكثير من الدول –وبخاصة الفقيرة منها– إن لم يكن جميعها تستثمر في هذا الجانب بصورة جيدة، حيث تفتح أبواب جامعاتها للوافدين من الطلبة، وتتقاضى الرسوم بالعملات الأجنبية الصعبة أو بعملة البلد المحلية، إن كانت ذا قيمة في الأسواق العالمية. ناهيك عما ينفقه الفرد داخل حدود الدولة الراعية لهذه المؤسسات التعليمية العالية.

ولماذا لا نجعل من هذا الميدان المهم في حياة الإنسانية والبشرية ميدان اقتصاد واستثمار؟ لماذا يستثمر الإنسان ويحاول استثمار كل شيء وفي التوافه أحياناً، ولا يجعل من هذا الغرض والهدف باباً عريضاً للكسب المشروع والتنمية الاقتصادية؟

وإذا كان أستاذ التنمية الشهير«بنيامين هيجتر» لا يرى في الإنفاق على البرامج التربوية والصحية وسيلة للتنمية الاقتصادية فقط، لا بل عن هذه البرامج نفسها برامج للتنمية الاقتصادية(14) فما بالنا بهذا الاستثمار الكبير في مجالي التعليم العالي بشقيه الحكومي والأهلي؟

ومن الجدير ذكره أن أفضل علاقة وأكثر القضايا نفعاً للحياة والتنمية البشرية ما كان له ارتباط أو ذو صلة بالتعليم العالي والسياسة التنموية، إذ إنَّ تقدم الحياة البشرية – كما ذكرنا في مقدمة البحث – منوط بالتقدم العلمي العالي، وكلما نهضت الأمم والشعوب علمياً ومعرفياً وصناعياً وتكنولوجياً، كلما كانت أمماً وشعوباً متحضرةً ومتقدمةً ومتطورةً والعكس بالعكس، فإذا ما حاولنا الربط المحكم والوثيق ما بين

التعليم العالي وتقدمه وتطوره بسياسات التنمية، انعكس لا محالة على مرافق الحياة الأخرى، واستفاد المجتمع، وتولد عن ذلك كثير من وجوه الحياة الكريمة والرفاه والسعادة، ذلك أن الأصل في فلسفة التعليم الجامعي العالي خدمة المجتمع والصالح العام.

وحين الحديث عن التعليم العالي يكون الحديث عن التخصصات المختلفة في هذا السلم العلمي، فمنها ما يكون في المجالات الزراعية، ومنها ما يكون في المجالات الصناعية المادية والغذائية والدوائية، وكذلك التقنيات والتكنولوجيا، وكذلك فروع الهندسة وأنواعها، فيما إذا أخذنا بعين الاعتبار، حين الحديث عن التعليم العالي في ظل سياسات التنمية والانفتاح ومفاهيم الاستثمار، قضية العمالة واستئصال البطالة، أو التخفيف منها إلى حد كبير، سواء البطالة الظاهرية أو المقنعة، وانعكاسات ذلك على سياسات التنمية، ولربما يضع البعض هذه القضية في نهاية سلم الأولويات، غير أننا لا نستطيع إلغاءها أو إغفالها بحال.

وحين الحديث عن العائد الفردي والاجتماعي للتعليم العالي، لا نفرق في حديثنا عن القضية ما بين التعليم العالي الحكومي والأهلي، إلا في الجوانب التي لا بد من التفريق فيها بين الجهتين، ونحن مع أن يكون هناك تعليم عال على المستوى الفردي أو الأهلي، ولا يقتصر الأمر على الحكومات، لأننا بهذا نكون قد مهدنا السبيل ووطأنا الدروب أمام الكفاءات المميزة وذات القدرات الكبيرة الفائقة، سواء أكان ذلك في الجانب الاقتصادي ورجالات الأعمال، أو في الجانب العلمي والعمل على استقطاب الكفاءات، والكفاءات النادرة خصوصاً في وطننا العربي، حيث نعاني من هجرات العقول والكفاءات إلى دول الغرب، حيث يجدون التربة الخصبة والأجواء المهيأة المناسبة، وتلك مجتمعات لديها قدرات كبيرة في معرفة كيفية الإفادة من هذه العقول النيرة والعلماء المتخصصين والكفاءات العلمية العالية، حيث الأجور المغرية ومعامل البحث العلمي والأدوات والآلات اللازمة، والمختبرات الضرورية التي قد نفتقدها أو نفتقد بعضها في وطننا الكبير، والأهم من ذلك أو مثيلها حرية البحث العلمي، ولكن ما الحل؟ هل الحل أن تبقى هذه العقول مهاجرة وتاركة وطنها دون محاولة العودة

إلى الوطن والنهوض به؟ أو الحل الأمثل أن نوجد التربة الصالحة ونوفرها ونهيئ الأجواء المناسبة لهذه الكفاءات النادرة المعطاءة، ونمنحهم المال الذي يحفظ لهم كرامتهم ومستواهم المعيشي، مقدرين في ذلك علمهم الجم المميز وخبراتهم الكبيرة الجليلة؟ كما يستلزم ذلك احتضانهم ليس على المستوى الأكاديمي فحسب، بل وعلى المستوى الرسمي والحكومي حتى يشعروا بالقيمة والكرامة والتقدير، وأن نضع بين أيديهم ما يطلبونه من مستلزمات البحث العلمي وأدوات التطوير، ولا ينظر إلى هذه الناحية النظرة إلى المعادلة الرياضية المجردة، أو النظرة الربحية البحتة.

كما يتوجب على حكوماتنا وسياسيينا أن يمنحوا شعوبهم حرية أكثر، ومجالات للتعبير أوسع، كي يشعر العالم أو الباحث بالأمن العلمي والطمأنينة البحثية، مما يشجعه على البقاء والاستمرارية والإخلاص بصورة أشد، أما إذا أحست الكفاءات العلمية والعقول المبدعة بعدم التقدير لها والاحترام، ورأت مصادرة الآراء هنا وهناك، ونظروا سياسة تكميم الأفواه فوجدوها الحل الأمثل لدى هذه الحكومات والسياسيين في عالمهم، فلن يشعروا بأمن وأمان، ويظلُّ هاجس الخوف مسيطراً، والتردد في بقائهم على أرض أوطانهم بادياً، ونظروا إلى أقوامهم نظرة الدون والتخلف، كل ذلك من عوامل الهجرة وعدم البقاء في الأوطان، وسبب في قلة الأوبة في نهاية المطاف.

وحول فكرة الأمن الجامعي والتعليم العالي يقول مؤلف كتاب «التعليم الجامعي المعاصر: قضاياه واتجاهاته»، تحت فصل «حرية الجامعة واستقلالها»: وإذا فرضت الدولة أو أحد الأحزاب سلطته على الجامعة، وحاول إخضاعها لأهدافه الأيديولوجية أو السياسية، فإن ذلك سيؤدي بالطبع إلى إضعاف الجامعة، وإذا فرضت قيود على التدريس أو الحرية الأكاديمية للجامعة فإن التعليم الجامعي ينهار من أساسه، ويترتب عليه ركود الحياة الفكرية الجامعية، ذلك أن الجامعة إذا فقدت استقلالها فقدت معه طابعها الجامعي، وهكذا يعتبر الاستقلال الأكاديمي أول ما يعني حرية الجامعة في اختيار نظامها وبرامجها ومناهجها وطرائق التدريس، واختيار هيئة التدريس فيها، كما يعني أيضاً الحرية الأكاديمية، وتعني عدم وضع قيود على ما تدرسه الجامعة، وما يقوله أو ينشره أساتذتها، أو ما

يعبرون عنه من آراء علمية أو أكاديمية داخل الجامعة. ولهذا فإن الحرية الأكاديمية تتطلب إلى جانب أشياء أخرى، توفير الضمانات الكافية للأساتذة ضد الضغط والإرهاب والتهديد بالفصل أو الطرد أو العقوبة. أ.هـ(15)

ويضيف صاحب المصنف قائلاً: لقد كانت الحرية الأكاديمية سمة مميزة لتطور الجامعة منذ نشأتها، ولا جدال في أهمية الاستقلال الأكاديمي للجامعة لكي تنمو وتزدهر وتؤتي ثمارها. فالجامعة قلعة للفكر والثقافة، وهو ما أكدناه أكثر من مرة، ولا يمكن لمثل هذه القلعة أن تحقق وجودها الفكري كاملاً إذا فرضت عليها القيود، ومن هنا كان من الضروري أن تحظى الجامعة باستقلالها الأكاديمي، يضاف إلى ذلك أن مسؤولية الجامعة في التطوير والتغيير وملاحقة التطورات السريعة، وما يقتضيه كل هذا من التكيف لمطالب العصر، يفرض عليها أن تكون مرنة بدرجة كافية تمكنها من سرعة الحركة، والاستقلال الأكاديمي اللذيْن يهيئان لها القيام بهذه البحوث، ومن دون أي ضغوط أو مؤثرات تعوق نموها أو تحدده أ.هـ(16)

كما يطلب من هذه الحكومات أن تفتح الباب أمام الاستثمار الفردي والأهلي للتعليم العالي، وأن تيسر فرصه، حيث التكامل ما بين الحكومي والأهلي، وما لم يتوافر من خلال الحكومة يتوافر من خلال فرص الاستثمار والتنمية من خلال المؤسسات العلمية والأهلية، كما ندعو إلى عدم فرض الضرائب الباهظة على مثل هذه المؤسسات، حتى لا تضطر إلى زيادة الرسوم أو فرض الرسوم التي لا يستطيعها سوى الأثرياء، فتحرم الطبقات المتوسطة والفقيرة من فرص التعليم العالي، مما ينعكس ذلك على المجتمع وفرص التنمية البشرية بوجه عام، إذ إن هناك فرقاً كبيراً ما بين المجتمع الذي يتشكل معظم أفراده من النخبة الواعية المتعلمة والمثقفة، والمجتمع الذي تسوده الأمية ويكثر فيه الجهل وعدم الوعي، مما يجعله مجتمعاً متخلفاً، غير متطور، بعيداً عن حياة الرفاه الاجتماعي والاستقرار النفسي.

وحول تداخل الثقافة والتعليم العالي مع التنمية البشرية ووصول المجتمعات مرحلة النضج وعلاقة ذلك بالرفاه الاجتماعي، يقول صاحب كتاب «التنمية البشرية»: وفي هذه

المرحلة يبدأ المجتمع في الابتكار والتجديد في العلوم والفنون والحرف بعد أن كان مقلداً أو مستورداً لها من الخارج، فتظهر صناعات جديدة مما يؤكد قدرة المجتمع على الحركة خارج دائرة الصناعات التقليدية، وتتحول الأيدي العاملة قليلة المهارة، إلى أيد ذات مهارة عالية، وترتفع الأجور، وتقل ساعات العمل، أما أجهزة الدولة فتدار إدارة علمية بمعرفة إداريين أكفاء، مما يعزز سلطة الدولة التنفيذية وقدرتها على التخطيط السليم والتنفيذ الرشيد، والمتابعة المدققة، والرقابة الحازمة.

وعن مرحلة الرفاهية يقول «رستو»: إنها مرحلة الانتقال إلى القطاعات المتعلقة بالخدمات، فتزداد خدماتها كماً، وترقى كيفاً، وهي أيضاً مرحلة الانتقال إلى القطاعات المشتغلة بالإنتاج، فتنتج السلع المعمرة كالسيارات وأجهزة الراديو والتلفزيون ليستكمل بها المجتمع مقومات الرفاهية.

وتتميز هذه المرحلة بالارتفاع الكبير في متوسط دخل الفرد، ليزيد عن حاجته الضرورية وحاجات الرفاهية، كما تتميز بازدحام المدن، وكثرة العاملين بها، وبانتشار مشروعات الخدمات والرعاية الاجتماعية، بما في ذلك خدمات التعليم والصحة والترويح، وما إليها أ.هـ (17)

فمما لا شك فيه أن هناك خيراً كبيراً، وتنميةً عظيمةً في إتاحة الفرصة أمام الاستثمار في مجال التعليم العالي، سواء أكان الحكومي أم الأهلي، وإن كان العائد الفردي والاجتماعي من خلال التعليم العالي الحكومي لربما يكون بصورة أقل، بحكم أن المؤسسات الحكومية مؤسسات شعبية وجدت لتحكم المجتمع والصالح العام، وكلما أتحنا الفرصة أمام الإرادة الإنسانية والمجتمعية للعمل بكل طاقة متاحة وأنظمة وقوانين، وسهلنا لرأس المال أن يستثمر بشكل كبير وآمن، وأزلنا من طريقه العقبات والعراقيل، وقلنا للعقول المتفتحة والمبدعة والمبتكرة هيا اعملي وابتدعي ما شئت وما تحتاجينه من المؤسسة الحكومية من كل لوازم البحث والإبداع والتجربة فهو تحت التصرف، كلما تعاملنا مع هذه العناصر الثلاثة: الإرادة والفعل، والمال، بما تقدم وبشكل حيوي ومرن وحضاري، كلما ارتقينا إلى مصاف الدول المتقدمة والمتطورة والمبدعة. وهنا وعلى هذه

الشاكلة يكون العائد الفردي والاجتماعي للتعليم العالي الحكومي والأهلي في ظل سياسات التنمية، وفي ظل الانفتاح ومفاهيم الاستثمار، في قمة عطائه وعنفوان شبابه وطاقته، ونكون ضد وضعنا سياسات التعليم العالي –في ظل التنمية والانفتاح– على الجادة، واستطعنا الإفادة منه على الوجه المطلوب علمياً وتكنولوجياً وعائداً مادياً وتنميةً بشريةً مجتمعيةً. وهذا هو الذي خلق من المجتمعات الغربية مجتمعات علمية متطورة، وأوصلها إلى ما وصلت إليه في سلم الرقي البشري والإنساني في جوانب الصناعة والتكنولوجيا والإبداعات الكثيرة في كل مجالات الحياة أو معظمها، وهذا بالضرورة سينقلب على قضية الرفاه الاجتماعي وزيادة دخل الفرد وانتظام أمر المجتمع، وجعله في رقي وتقدم مستمرين دائمين، يقول مؤلف كتاب «التنمية الاجتماعية بين النظرية والتطبيق»: (18) والواقع أن تنمية الثروة البشرية –إذا سارت بصورة تقدمية وبطريقة متصلة– فإنها تؤدي باستمرار إلى تطلعات بعيدة المدى، ولذلك فإن «أوجبرن» كان على حق حين تساءل عن المدى الذي يمكن أن ترضي الثقافة في نموها الاحتياجات كافة لدى أفراد المجتمع. فنمو ثقافة الثروة البشرية يؤدي إلى مزيد من الابتكار والاختراع، وإلى قدرات تركيبية أقوى من حالتها بالثقافة المحدودة، فمع أن هناك علاقة بين الثقافة واحتياجات الإنسان، إلا أنه يصعب تحديد هذه العلاقة إذا سارت الثقافة في طريق النمو والتكامل.

فكثير من الاختراعات المادية مثلاً قد استعملها الإنسان لأنها تلبي رغبة أو حاجة معينة لديه، وقد تكون الفائدة بعيدة المدى أكثر من الفائدة الملموسة حالياً، فالبخار مثلاً قد استعمل، لأنه يوفر كثيراً من الجهد الإنساني، ولكن التغيرات الثقافية ونموها أثبت أن للبخار فوائد أخرى غير توفير الجهد الإنساني، فتأثير البخار بعيد على الإنسان، ولكن من الصعب التنبؤ بكل نتائجه الاجتماعية، ذلك لأن هذه النتائج أكثر أهمية من مجرد تلبية حاجة من الحاجات عند أفراد المجتمع، وإذا كان من الصعوبة بمكان ربط التوقيت الزمني لظهور الاختراع بالحالة الثقافية، إلا أن كل حادث يبدو مفاجئاً لا بد وأنه يرتد إلى أصول ضرورية مهدت إليه، ومع ذلك فإن المتتبع لتاريخ ظهور الاختراعات يستدل على

قوة الثقافة في تحديد المجال لاختراعات معينة في محيط معين، ويتوقف بعضها على بعضها الآخر، فتاريخ الاختراعات كما يقول «كروبر» يشبه سلسلة لا نهاية لها من الأمثلة المتشابهة، فالانقلاب الصناعي تميز باستخدام الآلة في الإنتاج على نطاق واسع نتيجة لمجموعة متلاحقة في ميدان الطاقة البخارية بوجه خاص، مما أدى إلى حلول الصناعات الآلية محل الصناعة اليدوية والزراعية.

العلاقة بين مخرجات التعليم والعمل

وكما أسلفنا من قبل إن أهم ما يميز الجامعة هو قضاياها في خدمة العملية التعليمية أولاً، والخدمات المجتمعية من خلال تنمية المجتمعات والتنمية البشرية ذاتها ثانياً، وعلى رأس تلك القضايا إعداد القوى البشرية والكوادر العلمية ذات التخصصات المختلفة، وحتى نستطيع توظيف العلوم والتخصصات المتباينة في خدمة المجتمع وتنميته وتطويره، لا بد من الإعداد والتخطيط الجيد لتوظيف القوى البشرية الجامعية أو خريجي الجامعات بتعبير آخر، دون أن يكون هناك كم كبير من قوافل الخريجين لا يجدون فرص العمل أو الأماكن ذات الاستيعاب، وفق حاجة المجتمع لهذا النوع من الخريجين، في حين يوجد في المجتمع فراغات كثيرة وضرورات في زوايا متعددة، ونقص في بعض جيوب المجتمع لا نجد لها الكادر المؤهل وصاحب التخصص المراد، أو تفتقر مجتمعاتنا إلى علوم وتخصصات من لوازم الحياة المعاصرة، لا نجدها ولا نجد الكادر العلمي الذي يحملها، وهذا في تقديري أمر في غاية الأهمية بالنسبة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، حيث يبدو التخلف في معظم مجالات الحياة التي تعيشها وتحياها، إذ تفتقر مجتمعاتنا المحلية إلى الخطط أو التخطيط المستمر والقائم على أسس وركائز سليمة وقوية، وذلك بالنظر إلى التعليم الجامعي العالي مع المعرفة التامة ذات الرؤية الشاملة والواسعة – في الوقت نفسه– لمدى حاجتنا لهذا النوع من التعليم لا كماً –كما هو الحال– بل نوعاً ونوعية. أما فتح البرامج والتخصصات دون خطة سليمة شاملة مدروسة لكمِّ المنتسبين لهذه البرامج ونوعيتهم، وربط ذلك باحتياجات المجتمع وواقع الناس، فمما لا يسلم بصحة هذا التوجه أو سلامة هذا النوع من التخطيط، إذ سينعكس هذا النوع على المجتمع بسلبيات جمة.

يقول الدكتور عبد الله عبد الدايم: والتعليم ذو الأثر الأكبر في التنمية، ليس أيضاً أي نوع من التعليم العالي، بل هو تعليم ذو مواصفات خاصة تجعله عاملاً أساسياً من عوامل التنمية، وسياسة التوسع في هذا التعليم – على أهميتها– لا تؤتي ثمراتها، بل قد تنقلب إلى عكس أغراضها إن لم يرافقها ربط لهذا التوسع بحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومن أهم عوامل الربط بين التنمية عامة وبين تنمية التربية والتعليم العالي خاصة، ربط هذين الأخيرين بحاجات القوى العاملة، ولهذا الربط معان ومستلزمات عديدة أ.هـ(19)

لذا فإن فتح البرامج على هذه الشاكلة العارية عن التخطيط ليس سليماً، وإن رافق ذلك كم كبير من قوافل الخريجين، بل قد يكون هذا الكم سلباً على المجتمع لا إيجاباً، تماماً كما أشار إليه القول الآنف، ويخلق هذا النوع من التخطيط البطالة أو البطالة المقنعة، ومرد ذلك على العملية التعليمية خطير، لا عند الشباب فحسب، بل عند أولياء أمورهم، بما قد يتسبب عن ذلك نظرة ازدراء للتعليم بدل نظرة الإكبار والإعجاب بالعلم وحملته، ومرد ذلك إلى قلة التخطيط أو المبادرة إلى العمل العاطفي والعشوائي، وهذه قضية ومعضلة قد تواجه كثيراً من المجتمعات ودول العالم الثالث، ونحن جزء لا يتجزأ منه.

يقول الدكتور محمد منير مرسي(20)، ومن أهم المشكلات التي تتصل بدور الجامعة في إعداد القوى البشرية ما يتعلق بالربط بين مجالات العمل والتخصص الجامعي، وكيف تستطيع الجامعة أن تعد الخريجين اللازمين لقطاعات العمل المختلفة، وهذا يعني ضرورة وجود تقديرات للعمالة وتركيب القوة العاملة في الدولة على مدى سنوات مستقبلية، وعلى الرغم من أن كثيراً من الدول استحدثت التنبؤ بالنمو المنتظر في حجم القوى العاملة في التخصصات المختلفة، فإن هذا الأسلوب لم يحقق نجاحاً كاملاً، بل إن التقارير التي نشرت عن تقديرات القوى العاملة في الدول الاشتراكية التي اشتهرت بهذا الأسلوب قد أوضحت نقاط ضعف كثيرة فيه.

ولكل دولة أسلوبها الخاص في تحديد التخصصات الجامعية، وتحديد أعداد الطلبة

في هذه التخصصات، وغالباً ما تكون السلطات الجامعية على وعي باحتياجات القوى العاملة، ولو بصورة تقديرية على المدى القريب، وهناك أيضاً نوعية الخريج اللازم ومواصفاته لمختلف التخصصات، وهذا يعني أن الجامعة لا بد أن تطمئن إلى أن خريجها تكتمل فيه المواصفات المطلوبة لقطاعات العمل والتخصصات المختلفة، كما أن على الجامعة أيضاً أن تواجه التخصصات الجديدة التي تنشأ باستمرار نتيجة تقدم المعرفة، وعلى الجامعة أن تواجه زيادة الطلب الاجتماعي عليها، وهو متزايد ومستمر نتيجة لنمو السكان من ناحية، وتفجر المطامع والآمال من ناحية أخرى.

إن المطالب تتزايد باستمرار على التعليم الجامعي، كما أن توقعات المجتمع منه تتزايد باستمرار أيضاً، ولم يعد التعليم الجامعي مكتفياً بإعداد المتخصصين على مستوى الدرجة الجامعية الأولى فقط، وإنما امتد بدراسته ودرجاته العلمية للماجستير والدكتوراة، إلى جانب الدبلومات العالية والمتخصصة، ومع أن الإعداد للدرجات الجامعية العليا قد يتداخل مع الوظيفة الثانية للجامعة، وهي القيام بالبحوث، فمما لا شك فيه أن التقسيم بين هذه الوظائف هو تقسيم اصطلاحي، ومن الصعب وضع حدود فاصلة بينها، ولقد اتسعت وظيفة التعليم الجامعي المعاصر لتشمل إلى جانب الإعداد للمهن والكوادر العالية مهمة التدريب الحديث أيضاً، فلم تعد الجامعة تكتفي بإعداد المهنيين فحسب، وإنما أخذت على عاتقها أيضاً مسؤولية تدريبهم بعد إعدادهم، وأصبح التدريب الحديث مسؤولية من مسؤوليات الجامعة تستطيع من خلاله نشر الاتجاهات الحديثة في مجالات التخصص المختلفة، وهكذا يتكامل الإعداد والتدريب كوظيفة رئيسة كبرى للجامعة في ظل مفهوم متكامل من التربية الجامعية المستمرة أ.هـ

وأخيراً وليس آخراً فهذا بحث متواضع وجهد المقلِّ في موضوع رحب خصيب لا تكفيه المجلدة ولا المجلدتان، فضلاً عن الإحاطة بأطرافه المختلفة في ورقة عمل آملاً أن يلقى البحث تقديراً وإعجاباً، ويحوز على الثقة العلمية في هذا المنحى، راجياً أن يأخذ بارينا بأيدينا جميعاً لما فيه مصلحة أمتنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية والعالمية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

1. جزء من آية رقم (1) من سورة العلق.
2. ص 43.
3. راجع كتابه «التربية في البلاد العربية: حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها»، ص211.
4. انظر كتابه «الطالب ومسؤولياته الوطنية، في الطالب الجامعي في لبنان ومشكلاته»، نقلا عن كتاب «تطوير التعليم الجامعي العربي» دراسة حقلية، ص 11.
5. انظر كتاب «علم الاجتماع والتنمية»، ص121.
6. الحديث بتمامه أخرجه مسلم، وأصحاب السنن، وأحمد في مسنده.
7. انظر كتابه «تطور التعليم الجامعي العربي: دراسة حقلية»، ص3.
8. ص24 + 25.
9. سبب هذا القول أن هناك مناقشات تثار عادة حول المقصود بوظائف الجامعة، وما الفرق بين الوظائف والأغراض؟ وما الفرق بينهما وبين الأهداف؟
10. قلت: ينساق هذا على المسلمين في قضايا العلوم التي تخدم الدين والشريعة الإسلامية.
11. ص 26
12. انظر الكتاب ، ص 42.
13. ص 336 من كتاب «علم اجتماع التنمية: دراسة في اجتماعات العالم الثالث» للدكتور، نبيل السالوطي، أستاذ علم الاجتماع في جامعة الأزهر بمصر.
14. انظر كتاب «علم الاجتماع والتنمية»، ص 138.
15. التعليم الجامعي المعاصر : ص33، 34، 35.
16. المصدر السابق ص 36 – 37.
17. التنمية البشرية ص 101 – 102.
18. ص 104.
19. انظر كتابه «التربية في البلاد العربية : حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها»: ص 186، 187.
20. انظر كتابه : التعليم الجامعي المعاصر : ص 26، 27.

التعليم الشرعي
واقع - آمال - طموحات

الدكتور شفيق عياش / جامعة القدس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، إلى يوم الدّين.

يُعدُّ بناء المناهج من أهم المراحل وأدقها في العملية التعليمية، فالمنهاج بناء هندسيّ، ونظام متكامل، له أسسه وعناصره وأساليب تنفيذه، ولا تستطيع أمّة أن تنقل ثقافتها ووجهة نظرها في الحياة إلى أبنائها إلا إذا اتخذت قاعدة أساسيّة لوضع المناهج، بحيث تسهم جزئيات المنهاج كلها في التكوين الثقافيّ لأبنائها.

فلا تخرج جزئيةٌ من الجزئيات عن تلك القاعدة، ولا تتناقض معها، ولا تضعفها، ولا تشكك فيها، فإن حصل ذلك كان التكوين الثقافيّ والتعليميّ لأبناء الأمة مشوشاً أو ضعيفاً، وصار التعليم المنهجي عملاً هداماً، لأنّه يهدم ثقافة الأمة في نفوس أبنائها ولا ينميها، وللوصول إلى منهج واضح متكامل، وطرائق مثلى لتطبيق المبادئ، وبلوغ الغايات والأهداف، لا بدّ من التخلص السريع عند صياغة المناهج من جديد من إزدواجيّة التعليم، وذلك بتوحيده في إطار إسلاميّ. لأن العلم الشرعي هو العلم الذي ينتفي معه الجهل من جهة، والخرافة والدجل والأوهام من جهة أخرى، العلم الذي يعطي الحقائق التي يحتاجها الإنسان ليستكمل وجوده الإنسانيّ في عبور هذه الحياة،

ولطلب أمان الحياة الأخرى.

إن خطط العلم الشرعي وبرامجه ومناهجه في المدارس والجامعات ذات العلاقة، بحاجة ماسة إلى وقفة متأنية، ومراجعة علميّة دقيقة، تبرز ثوابت هذا العلم، وتظهر نتاج جهود علمائنا وفقهائنا الأجلاء السابقين، في معالجة المسائل الأساسيّة، في أبواب العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصيّة، والتشريع الجنائي.

وفي الوقت ذاته نحن أحوج ما نكون إلى أن يتضمن هذا المنهاج موضوعات تتصل بفقه الواقع، المتعلق بالتعامل مع الأمور المستحدثة، التي لم تقع في الزمان الماضي، من مدخل فقه مقاصد الشريعة الذي يهتم بالكليات، ولا يتيه في جزئيات المسائل بصورة منفصلة عن كلياتها، ويدخل في هذا فقه الأقليات المسلمة، وفقه المستضعفين في الأرض، حيث يعد أكثر من 80 % من اللاجئين في العالم من المسلمين، وفقه الحوار مع معتنقي الأديان السماوية الأخرى، وفقه الخلاف، والفقه السياسي الإسلامي الذي يعتبر متخلفاً جداً عن فقه العبادات، بالنسبة للموقف من حقوق المرأة السياسية، والتعددية السياسية، والحزبية، والشورى، والديمقراطية، وكذلك فقه المعاملات المستجدة؛ كالبنوك، والتأمين بأنواعه، وما إلى ذلك.

ولذلك لا بدّ من إعادة النظر في تأليف الكتاب الجامعي، بحيث يجمع بين استطاعة الطالب الرجوع إلى المصادر الفقهية الأساسية، وإلى استعمال الموسوعات الفقهية الحديثة، وتنمية قدرته في كيفية الحصول على المعرفة الفقهية، وتصنيف المعلومات بصورة تمكّنه من البحث العلميّ، والوصول إلى الحقائق والنتائج المرجوة.

ولا شكّ في أنه بعد ذكر أهميّة الخطّة الدراسية والمنهاج والكتاب، يأتي دور إعداد أستاذ العلم الشرعي الذي يعدُّ قدوة لطلابه من حيث المعرفة والعلم بالمادة المقررة، وفهمه لها

في عقله وقلبه، قبل أن تكون مادة تحفظ بنصوص جامدة، ثم تملى على الطالب ليحفظها دون فهم، أو إدراك، أو استيعاب عميق.

لقد تقدّمت أساليب التدريس المدرسي والجامعيّ بصورة كبيرة، شأنها شأن أساليب التعليم العام، وتطور علم التربية وأساليب التعليم بصورة جذرية، وأصبح استخدام تقنيات التعليم أمراً ضرورياً في تعليم جميع المواد الدراسية، وتطورت وسائل تقويم تعليم الطلبة وامتحاناتهم، بحيث لا يجوز التعامي أو التغاضي عنها في تدريس مواد العلوم الشرعيّة.

ومن هنا ينبغي أن يعد مدرس مواد العلم الشرعيّ بعامة إعداداً تربوياً وفنياً متخصصاً، لتكون أساليب التعليم فعالة وناجحة في تحقيق الأهداف التعليمية المتوخاة في مجالاتها التربويّة الثلاثة؛ وهي: المعلومات، والمهارات، والاتجاهات.

إن إصلاح التعليم الشرعيّ المدرسي والجامعيّ ضمن ضوابط شرعيّة، هو هاجس الكثيرين المتطلعين إلى أن يأخذ الإسلام بفكره وفقهه مكانه اللائق والمطلوب في حركة الحياة ونشاطها.

ولعلّ خير ما يدل على ذلك ما قاله المفكر الإسلاميّ عبد الرحمن النقيب في أبحاثه وكتبه القيّمة في هذا الصدد: «إن التعليم الأزهريّ وما شابهه من تعليم دينيّ على مستوى العالم الإسلاميّ كله، محتاج إلى مراجعة كاملة، لكي تتأكد من أنّ خريج هذا النوع من التعليم، قد أعدّ بالفعل الإعداد المناسب لداعية القرن الحادي والعشرين». ويتابع قائلاً: «وهذا مجال حساس، ويخشى أن يقترب منه الكثير حرصاً على السلامة أو قناعته بالموجود، وظناً منه أنه ليس بالإمكان أبدع مما هو كائن، وأكاد أجزم أن إعادة النظر في هذا النوع من التعليم هو ضرورة إسلامية، بل هو من أولى الضرورات لنجاح

العمل الإسلاميّ، من جهة أهداف هذا التعليم ومناهجه، ومعلمه، وطلابه، وإدارته، وتمويله، كلّ ذلك في حاجة إلى وقفة ووقفات، وكثير من البحوث والدراسات النظرية والتجريبيّة[1]». ويعلل الدكتور النقيب أهمية هذه الدعوة، بقوله:

ما زال طلاب العلوم الشرعية يحتلون في مجتمعاتنا الإسلاميّة مكانة شعبية في نفوس الجماهير، وما زالوا أكثر قدرة على إحداث التغيير من طلاب العلوم غير الشرعية، إذا أحسن اختيارهم، وأتقنا إعدادهم لأداء دورهم القياديّ في حياة الأمة، كيف لا؟ وسيكون فيهم العلماء والخبراء الذين يجتهدون في ضوء الدليل من القرآن والسنّة في قضايا الأمّة، ويقدمون الحلول لما تواجهه من مشكلات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة.

وها هو العلامّة ابن باديس المغربيّ يدق ناقوس الخطر في أيامه، لما رآه من تدهور أوضاع التعليم الشرعي في بلاده، داعياً إلى ضرورة تدارك الخلل، وسدّ الثلمة قبل فوات الأوان.

فقد لاحظ أن المناهج والبرامج المتبعة في زمانه، ليست في وضع سويٍّ في أشكالها، ودعا رجال الفكر والتربية إلى ضرورة إعادة النظر في هذه المناهج، قائلاً: فهل نعدّ منهجاً ينبت أبناءنا نباتاً حسناً، فيكون رجاؤنا عظيماً، أم نستمر على ما نحن عليه فيضيع الرجاء [2].

الهوامش

1 د. عبد الرحمن النقيب– التربية الإسلامية في مواجهة النظام العالمي الجديد، الطبعة الأولى – دار الفكر التربويّ، ص(46).

2 مصطفى حميداتو – عبد الحميد بن باديس وجهوده التربويّة، سلسلة كتاب الأمة ص(57).

السؤال: زوجة هجرت زوجها لسنوات عدة، ولم يتلفظ بالطلاق نحوها، علماً أن كلاً من الزوجين يقيم في دولة مختلفة، والزوج إيطالي الجنسية، وقد أصدرت له شهادة اعتناق للإسلام، ويوجد لهما ولد واحد، فهل يصح لهذه الزوجة المبيت في بيت زوجها حال زيارتها لابنهما المقيم مع والده؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فبالإشارة إلى السؤال المثبت نصه أعلاه، وبموجب حجة إسلام الزوج المرفقة، وبما أن الهجر المشار إليه في السؤال لم يصاحبه طلاق أو أية موانع شرعية أخرى، فلا مانع من مبيت هذه المرأة في بيت زوجها وممارسة حياتها الزوجية معه، لأنها حسب المعطيات المبينة في السؤال ما تزال زوجةً له، إلا إذا وجد ما يخالف ذلك من الأمور التي لم تذكر في نص السؤال.

*** *** *** *** ***

السؤال: هل يجوز أن يطلق على جمعية اسم (الخالدين الخيرية)؟

الجواب: الخلود نسبي وليس بمستوى واحد، وبالرجوع إلى معاجم اللغة يظهر أن من

معانيه: دوام البقاء في دار لا يخرج منها، ومنها الإقامة في الأرض، وفي القرآن الكريم: {وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ}(1)، ودار الخلد هي الآخرة لبقاء أهلها فيها، والمخلد الذي يبطئ عنه الشيب، أو لم تسقط أسنانه من الهرم، والخالدي: ضرب من المكاييل(2).

فالخلود منه الأبدي، ومنه المرحلي، والأبدي لا يطلق إلا على الآخرة، أما المرحلي أو النسبي فلا مانع من إطلاقه على مسميات في الدنيا، والتسمية باسم «خالد» مستخدمة قديماً وحديثاً، والرسول ﷺ أقرها، حيث وجد من تسمى بهذا الاسم من بين الصحابة، ولم يأمر بتغييره أو استبداله.

وحيث لم أطلع على دليل ينهى عن التسمية باسم «خالدين»، فلا مانع منها ما دام المقصود غير الخلود الأبدي الذي هو متعذر واقعاً وحقيقة وشرعاً في الدنيا، وعليه فلا مانع من تسمية جمعية باسم «الخالدين الخيرية».

مع النصح بتجنب التسمية بأسماء مشكلة، أو التي تثار خلافات حولها بين الناس، وبخاصة حين تطلق على أمور يشترك فيها عامة الناس أو بعضهم، فالأسماء كثيرة لا تعد ولا تحصى، والمتفق عليه أولى من المختلف حوله.

*** *** *** *** ***

السؤال: ما حكم بيع الذهب ديناً، أو بشيكات مؤجلة؟

الجواب: إن الشريعة الإسلامية أوجبت للبيع شروطاً وأركاناً، والذهب من أصناف المواد التي اشترطت في بيعها وشرائها شروطاً خاصة، إذ يجب التماثل والتقابض عند اتحاد الجنس، مثل بيع ذهب بذهب، ويجوز التفاوت عند بيعه بأصناف أخرى من غير جنسه، ويبقى شرط التقابض قائماً، لقوله ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ يَدًا بِيَدٍ فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ» (3)، وعليه فلا يجوز بيع الذهب مع تأجيل دفع الثمن أو المقابل، لأن في ذلك إخلالاً بشرط التقابض، أما

بالنسبة لبيع الذهب بالشيكات، فقد اختلف العلماء المعاصرون في ذلك بين مجيز ومانع، ونميل إلى منع بيع الذهب بالشيكات المتأخرة أو مؤجلة القبض، وبناء على ذلك فلا يجوز بيع الذهب مع تأجيل دفع المقابل سواء أكان هذا المقابل عملة نقدية أم شيكات بنكية مؤجلة.

*** *** *** *** ***

السؤال: ما حكم قيام بعض حراس المسجد الأقصى المبارك وسدنته بترك عملهم لتأدية صلاة الجمعة والجماعة خلف الإمام؟

الجواب: صلاة الجمعة تجب على المسلم الذكر البالغ العاقل المقيم صحيح الجسم، ولا يجوز تركها تهاوناً، ففي الحديث الشريف: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ» (4)

وهناك أعذار تبيح ترك صلاة الجمعة، مثل السفر أو المرض أو الخوف، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ، قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ، أَوْ مَرَضٌ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى» (5)

فإذا اقتضى الأمر بعض العاملين في مجال حراسة المسجد الأقصى للتخلف عن أداء الجمعة للزوم قيامهم بواجب حفظ أمن المسجد والمصلين، فإنهم يكونون من أصحاب الأعذار الذين يباح لهم التخلف عن أداء صلاة الجمعة، ويصلون بدلاً عنها صلاة الظهر.

وقد جاء في الموسوعة الفقهية أن من بين أعذار ترك الجمعة والجماعة، المريض الذي يشق عليه أن يصلي مع الجماعة، والحارس، ورجال الأمن، والمطافئ، وغيرهم ممن يشتغل بمصالح المسلمين الضرورية، إذا جاء وقت الصلاة وهم يؤدون عملهم صلوا في مكانهم، ولهم أن يصلوا بدل الجمعة ظهراً عند الحاجة. (6)

وورد في منتهى الإرادات في الفقه الحنبلي أن من أعذار ترك الجمعة والجماعة الحبس،

والخوف من ضرر في مال استؤجر لحفظه، ولو نظارة بستان.

أما إن حصلت الكفاية للحراسة فإنه يجب على الباقين أن يصلوا الجمعة.

وأداء الصلاة جماعة من أفضل الأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى الله، وبخاصة في المساجد التي يضاعف فيها الأجر والثواب، مثل المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، فإذا لم يتمكن المصلي من أدائها مع الجماعة الأولى، بسبب عذر قاهر، فبإمكانه أن يؤديها مع جماعة ثانية أو مفرداً. ومما لا شك فيه أن موظفي الحراسة في المسجد الأقصى المبارك يتحملون مسؤولية كبيرة للحفاظ على أمن المسجد، فإذا لم يكن هناك بديل للحارس، وكان عمل الحراسة متعيناً عليه وقت أداء صلاة الجماعة، فيمكنه أن يؤديها بعد أن يتوافر البديل خلال فترة الصلاة، وأظن أن المسؤولين في دائرة الأوقاف الإسلامية يضعون هذا الأمر في حسبانهم، ويتيحون للحارس أن يؤدي صلاته في وقتها، وحتماً سيتعذر عليهم أن يتيحوا المجال لجميع الحراس للقيام بأداء الصلاة مع الجماعة الأولى في الوقت ذاته.

*** *** *** *** ***

السؤال: هل يصاب الطفل وهو في سن الثامنة من عمره بسحر؟

الجواب: فإن السِّحر أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ولطف مأخذه ودق، وهو نوعان: ما كان تخيلاً وتمويهاً باستخدام خفة اليد وسرعة التحرك، مثل تخيِّل سحرة فرعون أن حبالهم وعصيهم حيات تسعى، قال تعالى:{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}(7)

وقسم ثان فيه تأثير مباشر على الإنسان بإذن الله تعالى، قال سبحانه: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ

بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(8)

فيفهم من هذه الآية أن السحر يضر ولا ينفع، ولكنه ضرر محكوم بإرادة الله تعالى، ولا يكون إلا عندما يقصرِّ الإنسان في حماية نفسه من تلك الشرور، والحماية تكون بقراءة القرآن الكريم، لا سيما سورة الفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وسورتي المعوذات.

وبناء عليه فقد يقع ضرر السحر على ابنة الثماني سنوات، والحل يكون باستنفاذ وسائل العلاج العضوي والنفسي عند الأطباء المتخصصين، لأن السحر قد تتماهى أعراضه مع أنواع كثيرة من الأمراض النفسية، وقد يتلازم السحر والمرض النفسي، فيجب عدم إغفال جانب العلاج النفسي بعد العلاج العضوي، وفي السياق ذاته ينبغي الالتجاء إلى الله تعالى الذي بيده شفاء جميع الأمراض .

أما اتهام أشخاص بعينهم أنهم من قام بعمل السحر، فهذا يدخل في نطاق الظن المحرم، قال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}(9)

والله يقول الحق وهو الهادي لسواء السبيل

الهوامش

1. الأعراف:176.
2. لسان العرب، ج5، ص124.
3. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الصرف و بيع الذهب بالورق نقداً.
4. سنن أبي داود، ج1، وورد في المستدرك ج 1، ص 415، أنه حديث صحيح على شرط مسلم.
5. المستدرك على الصحيحين، ج1، ص 273.
6. الموسوعة الفقهية، عن موقع الدرر السنية.
7. طه:66.
8. البقرة:102.
9. الإسراء:36.

كشف الغطاء عن جواز الجلوس للعزاء وبيان شروطه بجلاء

الشيخ إحسان إبراهيم عاشور
مفتي محافظة خانيونس / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فإن الإنسان إذا حَلَّت بساحته رَزِيَّة، وابتُلِيَ بفقد عزيز عليه، استُحِبَّ للناس أن يُسَلُّوه في مصابه ويواسوه، وهو المعروف بالتعزية، وهي مشروعة، لقول رسول الله ﷺ : «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (1)، بل قد يمكثون عنده للتعزية ويجالسونه وقتاً يطول أو يقصر، ومِمَّا اعتاده الناس في هذه الأزمان الجلوس للتعزية؛ لاستقبال من يأتي إليهم لتعزيتهم، ومواساتهم في مصابهم.

وقد اختلف العلماء في حكم الـجلوس للتعزية بين قائل بالجواز بشروط، وآخرَ يقول بالمنع، واختلفت عبارات القائلين بالمنع بين الكراهة والبدعة.

والذي أرَجِّحُه هو جَوَازُ الجلوس للعزاء، إذا خلا من الـمَحاذير والـمُخالفات الشرعية، وهذا ما أفتى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، عندما سُئل عن جلوس أهل الميت لاستقبال الـمُعَزِّين، واجتماعهم لذلك، حيث قال: (لا أعلم بأساً فيمَنْ نزلت به مصيبة بموت قريب، أو زوجة، ونحو ذلك، أن يستقبل الـمُعَزين في بيته في الوقت المناسب؛ لأنَّ التعزيةَ سُنَّةٌ، واستقبالُ المعزين مِمَّا يُعِينُهم على أداء السُنَّةِ؛ وإذا أكرَمَهُم بالقهوة، أو الشاي، أو الطِّيْبِ، فَكُلُّ ذلك حَسَنٌ)(2).

ومما يُستَدَلُّ به على جواز الجلوس لاستقبال المعزين، ما يأتي:

(أ) عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ

النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ(3) مِنْ تَلْبِينَةٍ(4)، فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ(5)، فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ(6) لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ»(7).

فصَدرُ هذا الحديث يَدُلُّ على أنهم كانوا لا يَرَونَ في الاجتماع بأساً، وأنه كان من عادتهم اجتماعُ أهل الميِّت، واجتماعُ غيرهم معهم.

(ب) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمَّا جاءَ النبيَّ ﷺ قتلُ ابنِ حَارِثَةَ وجَعفَرٍ وابنِ رَوَاحَةَ ﷺ جَلَسَ يُعرَفُ فيه الحُزنُ، وأنا أنظرُ من صَائِرِ الباب(8) ... الحديث»(9).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وفي هذا الحديث من الفوائد جوازُ الجلوس للعَزاء بِسَكِينةٍ ووَقار).

(ج) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: «بينما نحن نسيرُ مع رسول الله ﷺ إذْ بَصُرَ بامرأةٍ لا تَظُنُّ أنَّه عَرَفَها، فلمَّا تَوَسَّطَ الطريقَ وقف حتى انتهت إليه، فإذا فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ، فقال لها: ما أخرجَكِ من بيتك يا فاطمة؟ قالت: أَتَيتُ أهلَ هذا الميِّتِ فَتَرَحَّمْتُ إليهم، وعَزَّيْتُهُم بِمَيِّتِهِم...الحديث» (10).

ففي هذا الحديث أن أهل الميت يبقَون في بيتهم، ويأتيهم من يريد أن يُعَزِّيَهُم، وهذا ظاهر من قول فاطمة رضيَ الله عنها: (أتيت أهل هذا الميت)، ولا يمكن أن تأتيهم إلا في بيتهم.

قال السندي رحمه الله: (والحديث يدل على مشروعية التعزية، وعلى جواز خروج النساء لها)(11).

(د) إن الاجتماع للعزاء من العادات، وليس من العبادات، بدليل ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: (أنَّها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن...)، والذي يفيد أن الاجتماع للعزاء كان عادة عندهم، ومعلوم أن الأصل في العادات الإباحة، ما لم تخالف دليلاً شرعياً، وأنَّ البدع لا تكون في العادات الـمَحْضَةِ، إلا إذا اعتُقِدَ بها التقرُّبُ إلى الله تعالى، كما أشار لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه

الله – في أكثر من موضع من كتابه المعروف(12).

(هـ) إنَّ مَنْ لا يَفتَحُ بيتَ عَزَاءٍ، يأتيه الناسُ لِمُواساتِه في بيته، فيَستقبلُهم، ويَجلسُ مَعَهُم، ويَقدِّمُ لهم واجِبَ الضِّيَافةِ، وليس لهذا معنى سوى الجلوس للعزاء.

وأما المانعون من الجلوس للتعزية فقد اعتمدوا على أثر جرير بن عبد الله ﷺ. قال: «كُنَّا نَرَى الاجتماعَ إلى أهل الميت، وصَنِيعَةَ الطَّعامِ بعدَ دَفنِه، مِنَ النِّيَاحَةِ»(13)، والنياحة محرمة، فيكون ذلك الاجتماع محرماً.

وهذا الأثر ـ وإنْ صَحَّحَه النووي والألباني رحمهما الله ـ إلا أنَّ كثيراً من علماء الحديث حَكَمُوا على سَنَدِهِ بالضَّعف؛ كالذهبي، وابن حجر، وابن سعد، ويَحيى ابن مَعِين، وعلي بن الـمَدِيني، وغيرهم.

وعلى فَرَضِ صِحَّته فلا يَصلُحُ دليلاً للمانعين، وذلك لسببين:

الأول: إنَّ صورة النياحة التي وردت في أثر جرير ﷺ جَمَعَتْ أمرين معاً؛ وهُما: الاجتماعُ للعزاء، مع صُنْعِ أهلِ الـمَيِّتِ طعاماً لِمَنْ يَجتمعُ عندهم، كما ذكر الشوكاني وغيره.

والثاني: إنَّ هذا الأثر عن جرير ﷺ معارِضٌ لِحديث عائشة رضي الله عنها الـمُتَّفَقِ على صِحَّتِه، وعند التَّعَارُضِ يُقدَّمُ الـمُتفَقُ على صِحَّتِه على الـمُختلَفِ فيه.

وحيث ترجح لدينا جواز الجلوس للتعزية، فلا بد من تقييده بشروط وضوابطَ، تَضْمَنُ سَلامَتَه مِمَّا يُصَاحِبُه من مُنكرات ومَحَاذير، تُفضي به إلى الكراهة أو البدعة والحُرمة، وهي خمسة ضوابط:

1ـ أن يَخلوَ الـمجلس من الـمُنكرات والبِدَعِ؛ كالغيبة ولغو الكلام، وتقديم الدُّخَّان، ووضع أكاليل الزهور، وتعليق الصور، وفتح المذياع أو الـمُسَجِّل لِقراءة القرآن، وكذا التقبيل والـمُعانقة.

2ـ ألاَّ يترتب عليه تـجديدٌ للحُزن، أو يُصَاحِبَه نِيَاحَةٌ، أو تسَخُّطٌ، أو جَزَعٌ، خاصة عند النساء.

3 ـ ألاَّ يصنع أهل الـميِّت للمُعَزِّين أو الـجالسين من ذويهم طعاماً؛ وقد نَبَّه الشيخ

ابن باز – رحمه الله – على ذلك عندما سُئلَ عن حكم جلوس بعض أهل الميت ثلاثة أيام، فقال: (إذا جلسوا حتى يُعَزِّيَهُمُ الناسُ فلا حَرَجَ إن شاء اللهُ ؛ حتى لا يُتْعِبوا الناسَ؛ لكن من دون أنْ يَصنَعُوا للناسِ وَلِيمةً)(14).

4 ـ ألاَّ يُطِيلَ الـمُعَزِّي الـمُكْثَ عند أهل الميت، إذا كان ذلك يُفضِي إلى الإثقال عليهم وإيذائهم.

5 ـ ألا يكون في جلوسه تأخيرٌ لِواجباتِه الشخصية، أو لِمَصالحِ المسلمين، وحاجاتهم.

فإذا كان مجلس العزاء خالياً من هذه الـمحاذير، فالجلوسُ فيه مباحٌ لا بأس به.

وحَبَّذا لو تعارَف الناسُ الجلوسَ للعزاء مِنْ بعدِ صلاة العصر إلى العشاء؛ تَجَنُّباً للوقوع في بعض هذه المحاذير؛ كصُنعِ الطعام، وتعطيل الواجبات، ونحو ذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

1. سنن ابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزى مصابا.
2. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 13 /373.
3. البرمة: أي قِدرٍ.
4. التلبينة: وهي طعام من دقيق أو نُخَالَةٍ فيه عَسَلٌ.
5. الثريد: وهو الخبز مع المَرَق.
6. مجمة: أي مُريحة له.
7. صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التلبينة.
8. صائر الباب: شَقِّه.
9. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام.
10. سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب النعي.
11. سنن النسائي بحاشية السيوطي والسندي 4 /328.
12. مجموع فتاوى ابن تيمية.
13. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، ومسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما.
14. مجموع الفتاوى 13 /382.

الخمور

الشيخ أحمد شوباش / مفتي محافظة نابلس

تمهيد

الإعجاز العلمي في عصر تقدم العلم والاكتشافات والمخترعات والمعارف العلمية علم نافع وباب واسع يجب أن يستثمر، ولكن بتوسط من غير إفراط ولا تفريط، وضمن الضوابط الشرعية التي اشترطها العلماء.

ومن موضوعات الإعجاز العلمي في نظر العلماء تلك التشريعات الحكيمة التي خفيت حِكَمها أو كثير من حِكِمها وقت نزول القرآن، و تكشفها اليوم أبحاث العلماء في شتى المجالات، إلى جانب آيات الله في الآفاق والإنسان والكون والطبيعة.

ومن هذه التشريعات تحريم بعض المطعومات التي لو نزل فيها قول الحق {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ}(4)، لكفى، ومع هذا، فقد جاءت عشرات الآيات في بيان المحرمات من المطاعم والمشارب.

وفي هذه الورقات أسلط الضوء على أسرار تحريم الخمر، وحيث أحسنت فمن توفيق الله، وإن أسأت فمني ومن الشيطان، راجياً من الله العفو والقبول.

تعريف الخمر

الخمر من حيث مكوناتها: هي كل سائل يحتوي على نسبة معينة من الكحول.(5)

وتختلف هذه النسبة في أنواع الخمور، ففي البيرة مثلاً لا تزيد نسبة الكحول عن 3 %، بينما تصل في الخمر المركز إلى 50 % .

ونجد نصوص الدين الإسلامي وهي خير فاصل وموضح لأمور حياة الإنسان، تقول في الخمر: هي كل مادة مسكرة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، يُدْمِنُهَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ». (6)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ».(7) وهذا يوسع المعنى بحيث أن كل ما يؤدي إلى الإسكار أو الإدمان حرام ولو لم يسمَّ خمراً.

يتوقف تأثير الخمر على عاملين:

أولهما :كمية الكحول وتركيزه في الدم، فإذا شرب الإنسان كأساً من البيرة، فإن نسبة الكحول تصل في الدم إلى 5 ملغم في كل 100 سم دم، وهذا كاف لإحداث التأثير المطلوب عند المبتدئين، فإذا وصل التركيز إلى 50 ملغم كحول في 100 سم دم، فإن الإنسان يفقد قوة التركيز، ويفقد السيطرة على عواطفه أو التحكم بها.

وقد ينخرط في الضحك في مواطن الحزن والجد، وقد يبكي دون مبرر، فإذا وصلت نسبة التركيز إلى 150 ملغم في 100 سم دم، فإن الإنسان يتمايل في الهواء، ويفقد السيطرة على عضلاته وأطراف جسده، وتتعطل مراكز فكره عن العمل.

وثانيهما: استجابة الجهاز العصبي، فقد لوحظ أن الناس يتأثرون بالجرعة الأولى بدرجة متفاوتة، ويرجع الخطر في الخمر أن الجهاز العصبي يتعود على الكحول بالتدرج، بحيث إن الكمية الأولى التي تؤدي إلى شعور الشارب بالراحة أو نسيان الهموم، لا يكفيه في المرة الثانية ضعفها أو ثلاثة أضعافها ليحصل على التأثير نفسه.

وقد أوضح الله سبحانه الآثار الخطيرة المترتبة على تناول الخمر في وصفه لها بأنها رجس من عمل الشيطان، كما أشار الخالق عز وجل إلى آثارها الاجتماعية في اتخاذ الشيطان لها وسيلة لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس.

ونود أن نتناول موضوع الخمور في إطار مطلبين، على النحو الآتي :

المطلب الأول:

تأثير الخمور والمسكرات والكحول على الإنسان وأجهزته

تؤثر الخمور على أجهزة الجسم المختلفة ووظائفها تأثيراً ضاراً وفاتكاً، لذلك يجب أن يحذرها المؤمن، ويهجرها كل من وقع ضحية لها، علّه يتدارك نفسه وينشلها قبل أن تصل إلى قاع لا رجعة عنه، وإليك بعض أضرار الخمر في العلم والطب:

الخمر والجهاز العصبي:

تؤثر الخمر على المراكز العصبية الخمسة في مخ الإنسان، وأعلاها ما يختص بالإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي، ثم تأتي أسفل منها مراكز العقل والتفكير، ثم مراكز الحكم على الأشياء، ثم مراكز الذاكرة، وأسفل منها تأتي المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس.

والخطورة في الخمر في هذا الجانب تكمن في أن مفعولها يسري من أعلى إلى أسفل، فتؤثر على أرقى وظائف المخ أولاً، مما يجعل شارب الخمر صاحب شعور كاذب، فاقداً لذاكرته غير مبالٍ بما حوله.

الخمر وتأثيرها على الشخصية:

من المسلم به أن من يشرب الخمر يصاب بضعف الإرادة، وشرود الذهن، مما يؤدي إلى انحلال شخصيته، فلا يمكن الاعتماد عليه في المسائل المالية أو القيادية، ولا يمكن الثقة بأقواله ووعوده، وهو غالباً ما يكون سريع الغضب كثير الأوهام، عنيفاً مع زوجته

وأبنائه، فاشلاً في أعماله.

تأثير الخمور على أعضاء الجسم الأخرى:

لو جئنا بخلية حية نشطة الحركة مثل الأميبا، ونظرنا إليها تحت المجهر وهي تتحرك وتأكل، فإذا وضع في الماء من الكحول بنسبة 1 % فإنه يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام، فإذا ما زيدت الكمية، فإنها تتسمم، ومن ثم تموت، وهذا ما يحدث في خلايا أجسامنا عند شرب الكحول.

ومن هنا ننطلق في الرد على بعض الاعتقادات الباطلة؛ حيث يعتقد كثير من الناس أن القليل من الخمر يفيد ولا يضر، فهي تفتح الشهية ومدرة للبول، وتبعث الدفء في الجسم عند البرد الشديد، كما أنها تبعث نشاطاً جنسياً وتخلق جواً مرحاً، ونرد على ذلك بما يأتي:

1. تأثير الخمور على شهية الطعام:

وجد العلم أن هذا الشعور مرجعه إلى التأثير النفسي، وبدراسة التأثير الفسيولوجي للكحول على المعدة تبين أنها تزيد الحموضة، بل إنها تؤدي إلى خمول في حركة الهضم والامتصاص، وليس هذا فحسب، بل إنها تؤدي إلى التهابات مزمنة في غشاء المعدة، وهذا يؤدي بدوره إلى القرحة.

كما أن شرب البيرة يؤدي إلى الكروش الكبيرة، نتيجة لتمدد المعدة من الكميات الضخمة للبيرة.

2. تأثير الخمور على الكلى والجهاز البولي:

إن الاعتقاد بأن الخمور مدرة للبول هو اعتقاد باطل فاسد.

وحقيقة الأمر أن البيرة يدخل فيها بعض الأملاح والأحماض الكاوية مثل حامض السليليك الذي يحفظ البيرة من التعفن، وبذلك تصبح عملية إدرار البول نوعاً من

إرهاق الكلى، وكثير من مدمني الخمر يصابون باحتباسَ البول، وعدم السيطرة على التبول.

3. الخمر والتأثير الجنسي:

من الاعتقادات الباطلة أيضاً أن الخمر ينشط الغريزة الجنسية، وقد أثبتت الأبحاث والتجارب العلمية خطأ هذا الظن، وأوضحت الآثار العكسية السيئة على هذه الناحية.

وحقيقة تأثير الخمر على الجنس ينقسم إلى قسمين:

أ- عن طريق التأثير على المراكز العليا في المخ، فبتأثيرها عليها تتخدر، مما يزيل الشعور بالخجل أو الخوف أو التردد مؤقتاً، أي في حالة وجود الخوف والتردد فقط.

ب- عن طريق التأثير على المراكز السفلى في المخ، مما يضعف القدرة الجنسية، ويؤدي إلى الارتخاء والهبوط الجنسي.

وهذان الأمران متعارضان؛ فالأول يزيد الرغبة، والثاني يضعف المقدرة، وهذا يؤدي إلى العقد النفسية والجنسية لشاربي الخمر، وكثيراً ما تهدم الحياة الزوجية، ومعظمهم يطعن بسمعة زوجته وسلوكها تغطية لعجزه.

وفوق هذا نسل فاسد، فينشأ أولاد السكارى معتلي الأجسام، ذوي ميلٍ للإجرام، ودافع إلى الشر، وتهافت على الخطيئة، وإضافة إلى ذلك فقد ينزل الجنين مصاباً بالتشوّهات الخَلقية، بل الإصابة بأمراض قاتلة كالالتهابات الرئوية، وإذا أطال الله في أجلهم، فإنهم يقضون حياة تعيسة مصطحبة بالجنون والصرع .

4. هل تزيل الخمر البرد وتبعث الدفء ؟

إنه ظن فاسد باطل أن الخمر تبعث الدفء.

والذي يحدث أن الأوعية الدموية في الجلد والوجه تتمدد عند تناول الشارب كمية قليلة

من الخمر، مما يسبب احمراراً في الوجه والجلد، يوهم بأن حرارة الجسم قد ارتفعت، إضافة إلى أن الكحول تحدث تخديراً في مراكز تنظيم الحرارة بالمخ.

5. الخمر والتأثير الاجتماعي:

يظن كثير من الناس أن الخمر تجعل الإنسان اجتماعياً وأكثر مرحاً مع أهل بيته وأصدقائه.

ولكن لو تعمقنا في دراسة أثر الخمور، لوجدنا أنها تخدر العقل الواعي، كما تقلل شعور الإنسان بواقعه، وتقلل من تحفظه بالكلام، فينطلق لسانه بغزارة، ولكن باتجاه سلبي، ويضعف لدى شارب الخمر أي أثر إيجابي لخدمة الآخر أو نجدته، بل يفقد الشعور بالمروءة.

ولو كان الهدف خلق روح اجتماعية فيكون ذلك بالأسلوب الإيجابي عن طريق تعاليم الدين والعقيدة، وليس بالأعمال السلبية.

هل هناك شارب معتدل ؟

والذين يدّعون الاعتدال نتيجة الشرب هم في وهم وشك وريبة، فقد نشرت جمعية منع المسكرات في نيويورك إحصائية تقول: إن من بين كل عشرة أشخاص يشربون الخمر ثلاثة يصابون بالإدمان، وينقلبون إلى مرضى صحياً أو اجتماعياً.

أما السبعة الباقون فهم عرضة للإفراط في الشرب إلى حد لا يمكن لأحدهم السيطرة على نفسه، وقد وجد أن ثلاثة من هؤلاء قد تعرضوا لحوادث سير بسبب الإفراط في مرة من المرات، وأن اثنين منهم تعرضوا لخلافات عائلية أو خسارة في العمل، وهذا وحده يكفي لإسقاط حجة الاعتدال وتفنيدها بسبب الشرب . (8)

تأثير الخمور على أعضاء أخرى:

تؤثر المسكرات على الأنف والأذن والحنجرة، فتسبب السموم الناتجة عن المواد الكحولية تأثيراً ضاراً على العصب السمعي، ينتج عنه صمم عصبي. كما تسبب المواد الكحولية التهاباً مزمناً بالأحبال الصوتية، يجعل الصوت أخشن مزعجاً، كما أن إدمان المواد الكحولية هو من أهم الأسباب المؤدية إلى سرطان الحنجرة، وهو أحد العوامل المؤدية إلى مرض ضمور الغشاء المخاطي المبطن للأنف، حيث يكتسب الأنف رائحة شديدة الكراهية، ويمتلئ تجويفه بقشور قذرة .

كما تؤثر الخمور على البصر، فيؤدي الإدمان على الكحول إلى ضمور في العصب البصري، فينتج عنه ضعف الرؤية، وفقدان حاسة البصر تدريجياً، يقول كبير أطباء مستشفى الرحمة: (إن المسكرات تطفئ نور الحياة بأكملها قبل أن تؤثر على نور النظر، وإن متعاطي الخمر قد عميت بصيرته قبل أن يعمى بصره). (9)

إن القرآن الكريم لم يحرم الخمر عبثاً، بل لأن لها آثاراً كبيرةً، ذكرنا منها البعض، وليس على سبيل الحصر، ولقد أجاد بعض الشعراء في وصف من يجتمعون على شرب الخمر، إذ يقول فيهم:

أرى كل قوم يحفظــون حريمهم ... وليس لأصحـاب النبيذ حريم

إذا حييتهم حيوك ألفــاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم سـاعة فذميم

وقال قيس بن عاصم المنقري التميمي:

وجدت الخمر جامحة وفيها ... خصال تفضح الرجل الكريما

فلا والله أشربـها صحيحاً ... ولا أشفي بها أبـــداً سقيماً

ولا أعطي لهــا ثمناً حياتي ... ولا أدعو لها أبـــــداً نديماً

فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتجشمهم بها أمراً عظيمــاً

إذا دارت حماها قد تجلت طوالع تسفه الرجل الحليما

ولقد دلت بعض الإحصاءات في أقطار تروج فيها سوق الخمور، على أن معظم الذين يقضون حياتهم فيها في غياهب السجون إنما جاؤوها بسبب إدمانهم الشراب، فتسممت عقولهم وساءت أخلاقهم وضاع رشدهم، وصاروا عالة وعبرة لمن يعتبر!!

ويكفي لبيان أضرارها ما روى النسائي في سننه موقوفاً بسند صحيح عَنْ أَبِي بَكْرِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلاَ قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلاَمٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْساً، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلاَمَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا. قَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لاَ يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ، إِلاَّ لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ». (10)

المطلب الثاني:

الخمر في الإسلام؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في أدلة تحريم الخمور

أولاً: من الكتاب العزيز:

أ- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}(11).

ونحن نعلم أن العرب في الجاهلية كانوا مولعين بشرب الخمر، لا يهمهم في شربها

شيء، ولا يرون في ذلك بأساً، فلما جاء الإسلام، بين لهم إثم الخمر، وأنه أكبر من نفعها، وبين مضارها، ثم أمرهم بعدم قرب الصلاة وهم سكارى، ثم نزل الأمر الرباني بالاجتناب، حتى امتنع عنها كل مسلم، وقد أشرت لهذا من باب المعرفة، وحتى نرى مدى الفرق بين الإسلام في قوانينه وأوامره، وبين الأنظمة البشرية الحديثة، فنرى ما فعلته أمريكا في بداية القرن السابق من قتل وسجن وإنفاق لملايين الدولارات، ولكنها فشلت في منعها. (12)

ثانياً: من السنة المطهرة

أ- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ». (13)

ب- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- : « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ يُدْمِنُهَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ ». (14) و بلفظ البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ». (15)

ج- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْبِتْعِ فَقَالَ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ». (16)

د- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ».(17)

هـ- عَن أبي عَامِرٍ -أَوْ أَبُو مَالِكٍ- الأَشْعَرِيِّ، وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِي، سَمِعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ».(18)

و - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَشْرَبِ الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ».(19)

المسألة الثانية: الأحكام الفقهية المتعلقة بالخمور

أولاً: لا تقبل صلاة شارب الخمر : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «مَنْ شَرِبَ

الْخَمْرَ وَسَكِرَ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْغَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدْغَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ». (20)

وورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «كُلُّ مُخَمِّرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا، بُخِسَتْ صَلاَتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ. قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَمَنْ سَقَاهُ صَغِيرًا لاَ يَعْرِفُ حَلاَلَهُ مِنْ حَرَامِهِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». (21)

ثانياً: اللعنة تلحق كل من له علاقة بالخمر:

عَنْ أَنَسٌ – قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْخَمْرِ عَشَرَةً؛ عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَالْمَعْصُورَةَ لَهُ، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ لَهُ، وَبَائِعَهَا، وَالْمُبْتَاعَةَ لَهُ، وَسَاقِيَهَا، وَالْمُسْتَقَاةَ لَهُ، حَتَّى عَدَّ عَشَرَةً مِنْ هَذَا الضَّرْبِ. (22)

ثالثاً: تحريم التجارة في الخمور:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنهما – أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ».(23)

رابعاً: القول في المضطر لشربها

فإن اضطر إلى الخمر بإكراه شرب بلا خلاف، وإن كان بعطش فلا يشرب عند مالك، ولا تزيده الخمر إلا عطشاً، وقال الأبهري: إن ردت الخمر عنه جوعاً أو عطشاً شربها، لأن

الله قال في الخنزير: (إنه رجس) وأباحه في الضرورة، وقال في الخمرة {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ}، فقد دخل في إباحة الخنزير بالمعنى الجلي الذي هو أقوى من القياس، ولا بد أن تروي ولو لساعة، وترد الجوع ولو مدة. (24)

خامساً: في النهي عن شهادة مجلس خمر:

لا يجوز أن يحضر المسلم مجلس الخمر أو يشهده، إلا إذا أراد التوجيه والإصلاح، أما أن يجلس معهم من باب المجاملة أو الرفقة أو التسلية، ولو لم يشرب فهو حرام ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّوْرَ} (25)، والزور لا يقتصر على المعنى المدرج وهو شهادة الزور، بل المعنى أن المؤمن لا يحضر مجلس الخمر.

قال ابن كثير: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور، قيل هو الشرك وعبادة الأصنام، وقيل الكذب والفسق والكفر واللغو الباطل، وقيل اللغو والغناء، أو هو أعياد المشركين، أو هي مجالس السوء والخنا، وقال مالك عن الزهري: شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه، كما جاء في الحديث: عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ بِغَيْرِ إِزَارٍ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلاَ يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلاَ يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ». (26)

والحق أن المؤمن المتمسك بدينه تكون له هيبة في نفوس الناس، فلا يقومون على عمل الباطل في حضوره؛ لأنه إيجابي معتاد على تقديم النصح والإرشاد، وعليه اعتزال مجالس الخمر واجتنابها.

والله أعلى وأعلم

الهوامش

1. آل عمران: 102.
2. النساء:1.
3. الأحزاب: 70 – 71.
4. الأعراف: 157.
5. الطب الوقائي. أحمد شوقي.
6. سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر.
7. سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر.
8. الطب الوقائي. أحمد شوقي.
9. الدين والصحة، عباس كرارة، نقلاً عن كتاب لماذا حرم الله هذه الأشياء، د. محمد عبد العزيز .
10. سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر.
11. المائدة : 90 – 91.
12. انظر المدخل لدراسة الشريعة ، د. عبد الكريم زيدان ص 38–37.
13. سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر.
14. سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر.
15. صحيح البخاري،كتاب الأشربة، باب قوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان).
16. صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الخمر من العسل وهو البتع، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر.
17. سنن ابن ماجة ، كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر.
18. صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.
19. سنن رواه ابن ماجة ، كتاب الأشربة، باب الخمر مفتاح كل شر.
20. سنن رواه ابن ماجة ، كتاب الأشربة، باب من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة.
21. سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر.
22. سنن رواه ابن ماجة ، كتاب الأشربة، باب لعنت الخمرة على عشرة أوجه.
23. متفق عليه، سبق تخريجه.
24. القرطبي ج 2 ص 228.
25. الفرقان:72.
26. سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في دخول الحمام، وسنن الدارمي، كتاب الأشربة، باب النهي عن القعود على مائدة يدار عليها الخمر، وانظر تفسير ابن كثير، ج 3، ص 262.

فقيد العالم الإسلامي
فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ
الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله

الدكتور / إسماعيل نواهضة
خطيب المسجد الاقصى المبارك

في الساعة العاشرة والنصف من صبيحة يوم الأربعاء بتاريخ 10 /3 /2010م كنت أشاهد قناة النيل الفضائية، وإذا بالمذيع يعلن بصوت متحشرج نبأ وفاة الإمام الأكبرالأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، بعد مشاركته في مؤتمر توزيع جائزة الملك فيصل بالرياض، وكان ذلك لحظة صعوده على سلم الطائرة في مطار الملك خالد في الرياض الساعة السادسة من صبيحة يوم الأربعاء عائداً إلى القاهرة، فكان وقع الخبر على مسامعي شديداً ومؤثراً مع الإيمان الكامل بأن الموت حق، وأن الأجل إذا جاء لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، كما جاء في قوله تعالى:

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}(1)

وابتداءً لا يسعنا إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، عملاً بقوله تعالى:

{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(2)

وبقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره تقدمنا بأحر التعازي وأصدق مشاعر المواساة من علماء الأزهر الشريف وجمهورية مصر العربية رئيساً وحكومة وشعباً، ومن أمتنا العربية والإسلامية بوفاة عالمنا الجليل الشيخ طنطاوي رحمه الله، سائلين المولى عزوجل أن يسكنه فسيح جناته، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

بدأت معرفتي بالمرحوم عام 1996م وكان الهدف من الزيارة دعم كلية القرآن والدراسات الإسلامية من ناحية الاعتراف بها من جهة، ومن جهة أخرى تخصيص بعثة من علماء الأزهر للتدريس فيها، وبالفعل وجدنا كل ترحيب وتقدير، وقرر المرحوم تخصيص بعثة تعليمية لدولة فلسطين مكونة من ثلاثة أعضاء وبشكل دائم، وبالفعل حضرت البعثة في حينه، وساهمت بشكل فعال بالتدريس في الكلية إلى أن حدثت انتفاضة الأقصى عام 2000م، عندها أصبح استمرار وجود البعثة في فلسطين أمراً صعباً، فغادرت الوطن ولم تعد، إلا أن تخصيص هذه البعثة لدولة فلسطين ما زال مدرجاً ضمن قائمة بعثات الأزهر التعليمية للعالم العربي والإسلامي.

ثم توالت زياراتي له، وكنت كلما زرت القاهرة أذهب لمقابلته في مكتبه بمشيخة الأزهر، وكنت أجد منه كل احترام وتقدير، وبمجرد إعلامه بحضوري إلى مكتبه كان يسمح لي بالدخول فوراً حتى ولوكان عنده ضيوف، وكان يقدمني لهم ويعرفهم بي، ويقول: هذا خطيب المسجد الأقصى المبارك، ويأخذ بالحديث عن المسجد الأقصى ومدينة القدس وفلسطين، ويبدي تعاطفاً شديداً ومحبة كبيرة تجاه فلسطين ومقدساتها، وكانت أمنيته أن يحظى بزيارة المسجد الأقصى المبارك، وحينما قرر المجلس الإستشاري لكلية القرآن إقامة احتفال بمناسبة افتتاح الكلية، كلفت بتوجيه دعوة له للقيام بزيارة فلسطين للمشاركة في هذا الاحتفال، فرحب وسر بهذه الدعوة، إلا أن فضيلته تدارك الأمر وقال لي: هل السلطة الوطنية الفلسطينية هي التي ستمنحني تأشيرة الدخول إلى فلسطين؟ فقلت: لا، فقال لي: معذرة يا أستاذ لا أستطيع الحضور، لكن إن شاء الله يتحرر المسجد الأقصى المبارك، وعندها سأكون سعيداً في الحضورعندكم.

وكثيراً ما كان يحدثني عن شخصيات فلسطينية تربطه بهم علاقات مودة وصداقة؟ وكان دائماً يقول: أي شيء لصالح فلسطين ولشعب فلسطين فأنا معه وأسانده.

لقد عرفته عالماً جليلاً ومفسراً حاذقاً للقرآن الكريم ،باحثاً ومجتهداً، هادئاً ومتواضعاً مع الجميع، ومحبوباً من الجميع، وسطياً في فهمه لأحكام الشريعة الإسلامية، بعيداً عن التعنت والتعصب، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد عمل على نشر ثقافة الاعتدال والوسطية بين طلبة جامعة الأزهر الشريف ومعاهده، كما عمل على تطوير الدراسة في الجامعة لتواكب التطور العلمي الحديث والتكنولوجي، وكانت بصماته واضحة في إرسال البعثات الدعوية والوعظية إلى كثير من دول العالم الإسلامي للمساهمة في تعليم هذه الشعوب أحكام الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه. وكانت علاقته مع الآخرين قائمة على الاحترام المتبادل، والتسامح دون التنازل عن عقيدته، مما كان له الأثر الكبير في إرساء التعاون والتسامح الديني وترسيخه بين أبناء الوطن الواحد، متمثلاً بقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}(3).

ملامح من حياته

ولد الشيخ طنطاوي في محافظة سوهاج في 28 تشرين الأول (أكتوبر) 1928، وحصل على شهادة الدكتوراة في الحديث والتفسير عام 1966 بتقدير ممتاز، وعمل مدرساً في كلية أصول الدين، ثم انتدب للتدريس في ليبيا لمدة أربع سنوات.

وعمل الشيخ طنطاوي في المدينة المنورة عميداً لكلية الدراسات الإسلامية العليا بالجامعة الإسلامية، وفي 28 أكتوبر من عام 1986 عين مفتياً للديار المصرية، ثم عين شيخاً للأزهر عام 1996.

وللفقيد مؤلفات عدة من أهمها: «بنو إسرائيل في القرآن والسنة» (1969)، «القصة في القرآن الكريم» (1990)، «ومعاملات البنوك وأحكامها الشرعية» (1991)

ومن أبرز مؤلفاته «التفسير الوسيط للقرآن الكريم» (1972)، إنه من أفضل التفاسير وأبسطها وأشملها، والتى تجمع معظم الآراء الصحيحة، ويستطيع الجميع أن يفهموه ببساطة. تناول العالم الجليل في هذا العمل تفسيرًا كاملاً وشاملاً للقرآن الكريم في محاولة للكشف عما اشتملت عليه السورة والآيات من هدايات جامعة وتشريعات حكيمة وحجج باهرة، تقذف حقها على باطل الضالين، فإذا هو زاهق، وقد بدأ التفسير بالتفصيل والتحليل، مع تعريف بكل سورة وبيان فضلها، ووجه اتصالها بالسورة التي قبلها، وزمان نزولها والمقاصد الإجمالية التي اشتملت عليها .. ويتلخص منهجه في شرح الألفاظ القرآنية شرحًا لغوياً مناسباً والمراد منها، وأسباب النزول لكل آية، والمعنى الإجمالي للجملة أو للآية، مستعرضاً ما اشتملت عليه من وجوه البلاغة وحسن التوجيه، والأحكام والآداب والتشريعات التي يمكن أن تستقى منها، إلى جانب تخريج الأحاديث النبوية التي يستعين بها، وبيان المصادر التي استند إليها.

إن الأمة الإسلامية مدينة لمصر وللأزهر الشريف، فكم من عالم جليل تلقى علومه من الأزهر، فقد كان الأزهر وما زال قبلة لطلبة العلم، وإن فقدان أمثال هذا العالم الجليل لا يعد خسارة لمصر وحدها، وإنما هو خسارة للأمة الإسلامية قاطبة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يرحم الفقيد رحمة واسعة، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يتجاوز عن سيئاته وأخطائه.

الهوامش

1. الأعراف: 34.
2. البقرة آية: 156.
3. آل عمران: 64.

تقوى القلوب

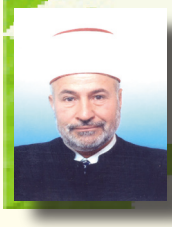

الشيخ محمد سعيد صلاح
مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتخطيط
عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله الذي زيَّن القلوب بالتقوى، وزيَّن النفوس بالهدى، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، السيد البشير، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحابته أجمعين، وبعد؛

فالأصل في التقوى وقي، ومنه اتقاه: أي حذره وخشاه، أما التقوى فهي الخشية والخوف.

قال تعالى : {... وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ...}(1) والتقوى صفة عظيمة جليلة كريمة، يتصف بها من قرأ القرآن، والتزم ما فيه من أحكام شرعية تنير طريق المتقين، وتشرح صدور العارفين الملتزمين، الذين سارعوا إلى مغفرة ربهم، قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}(2).

ولقد خص الله عز وجل المتقين بهدايته – وإن كانت للخلق أجمعين – تشريفاً لهم، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه، فعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال يوماً لابن أخيه: «يا ابن أخي؛ ترى الناس ما أكثرهم؟ قال: نعم. قال: لا خير فيهم، إلا تائب أو تقي. ثم قال: يا ابن أخي؛ ترى الناس ما أكثرهم؟ قلت:بلى، قال:لا خير فيهم إلا عالم أو متعلم».

وقال أبو يزيد البسطامي: المتقي من إذا قال، قال لله، ومن إذا عمل، عمل لله.

وقال أبو سليمان الديراني: المتقون الذين نزع الله من قلوبهم حب الشهوات.

وسأل عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – أبياً عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمرت وحذرت، قال: فذاك التقوى.

وصدق الشاعر ابن المعتز القائل :

خـل الذنوب صغيرهـا وكبيرهـا ذاك التقى
واصنع كـماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحـقرن صغـيرة إن الجـبال من الحصى

والتقوى فيها جماع الخير كله، وهي وصية الأولين والآخرين، وهي خير ما يستفيده الإنسان

يقول المرءُ فائدتي ومالي وتقوى اللّه أفضل ما استفادا

فالتقوى أرفع الدرجات التي يجب على المؤمن أن يرتقي إليها بشتى الوسائل المشروعة، التي عرفنا إياها سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– ولقد شرح العلماء الأجلاء التقوى، وعرفوها، فمنهم من قال: التقوى أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا يُنسى، ويشكر فلا يكفر.

وقيل هي ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة .

وقيل: إن التقوى أن لا تختار على الله سوى الله، وأن تعلم أن الأمور كلها بيد الله.

وقيل: أن لا يراك مولاك حيث نهاك، وأن لا يفتقدك حيث أمرك.

ومنهم من قال: التقوى العمل بالقرآن الكريم، واتباع هدي النبي القويم، ودوامة الذكر العظيم، وعدم الإصرار على المعاصي وإن صغرت، والتوبة من كل الذنوب، فالمتقي هو الذي يتجنب الصغائر والكبائر، فلا يصبر على معصية، ولا يقع في كبيرة.

وما من نبي إلا وحث قومه على طاعة الله عز وجل، ليحصل على لذة ثمرة التقوى. قال تعالى عن إبراهيم – عليه السلام – {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}(3) وقال تعالى عن نوح –عليه السلام–: {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ}(4). وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(5). وها هو سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – يقول: «التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»(6)والتقوى لا يعلمها إلا الله، لقوله تعالى: {فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}(7). ومن أجمع الآيات التي بينت حقيقة التقوى، وبينت أن هذه التقوى لا ينعم المرء بدفئها وظلها ونورها، إلا بعد أن يتصف بأمهات الفضائل، ويوفق لأمهات العبادات وأصولها، لقوله تعالى:{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(8)، فالتقوى ثمرة لكل فضيلة.

فالشهادتان هما أساس الإسلام، وثمرتهما الإيمان، والإيمان ثمرته التقوى، وإنفاق المال في وجوه البر والخير، والإحسان، وإقامة الصلاة، ودفع الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر، وصوم رمضان، ثمرتها التقوى.

وبتتبع كلمة تقوى في كتاب الله الكريم نجد أنها من أوائل الكلمات التي ذكرت في كتاب الله، بل هي من الكلمات التي لم تخل سورة في القرآن الكريم من ذكرها أو الإشارة إليها.

والمتقون لهم صفات ذكرها الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل، فهم يؤمنون بالغيب، قال تعالى: {...الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ...}(9)، فهم الذين أيقنوا حقيقة الله الموجود، وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فهم أهل الثقة بالله تبارك وتعالى.

والمتقون يقيمون الصلاة، لقوله تعالى: {...وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ...}(10)، وذكر الحق إقامة الصلاة، ولم يقل يؤدون الصلاة، لأن إقامة الصلاة هي تأدية للصلاة بأركانها وسننها وهيئاتها وخشوعها، وعبادة الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والصلاة عمود

الدين، من أقامها أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين، وهي أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، فهي عبادة فرضت ليلة الإسراء والمعراج من فوق سبع سماوات، ليرتبط المسلم بربه يومياً خمس مرات، يتذكر أن له رباً يجب عليه أن يعبده، ويتذكر أن له أماكن مقدسة يجب أن لا ينساها، فالأقصى أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، من فرط بأحدهما كأنما فرط بالآخر .

ومن صفات المتقين الإنفاق، قال تعالى: {...وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}(11) لأن الإنسان جبل على حب التملك، قال تعالى:{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}(12) وقال تعالى: {...وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ...}(13) والمنفق للمال، المؤدي حق الله بالصدقات، وحق الفقير بالزكوات، هو المتقي الصادق، لأنه جاهد نفسه فأنفق في سبيل الله، كسيدنا عثمان بن عفان «رضي الله عنه» عندما جهز جيش العسرة .

ومن صفات المتقين الإيمان بالكتب السماوية، لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ...} (14) فالمتقي يؤمن بجميع الكتب السماوية، قال تعالى : {...كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ... }(15)، وعليه فعلى المتقي أن يعترف بجميع الأديان والكتب والرسل ويحترمهم وإياها، لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}(16).

فمن علامات التقوى محبة الناس جميعاً والتعامل معهم بمحبة واحترام، فهم أتباع ديانات سماوية من عند الله، لا يحق له أن يسيء لأي منها.

وهنالك صفة لا يجوز بحال من الأحوال أن نُغفِلها، ألا وهي اليقين المطلق بيوم الحساب، قال تعالى:{...وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}(17)، فاليقين باليوم الآخر لا يدع لنا مجالاً لأن نقصر أو نهمل، أو أن نغتر بالعمل القليل، وأن لا نغفل، ولقد قيل عشرة من المغرورين:

1 – من أيقن أن الله خالقه، ولا يعبده.

2 – ومن أيقن أن الله رازقه، ولا يطمئن إليه ويشكره.

3 – ومن أيقن أن الدنيا زائلة، ويعتمد عليها أو يتمسك بها.

4 – ومن أيقن أن الديان يحاسبه، فلا يصحح حجته.

5 – ومن أيقن أن الصراط ممره، فلا يخفف ثقله.

6 – ومن أيقن أن الورثة أعداؤه، ويجمع لهم المال.

7 – ومن أيقن أن الموت آت، فلا يستعد له.

8 – ومن أيقن أن القبر منزله، فلا يعمره.

9 – ومن أيقن أن النار دار الفجار، فلا يهرب منها.

10 – ومن أيقن أن الجنة دار الأبرار، فلا يعمل لها.

فما أجمل التقوى واليقين، والتزام هدي هذا الدين، والسير على الصراط المستقيم، والتزود لما بعد الرحيل، فالسفر طويل، والزاد قليل، وليل المؤمن نور، ونهاره ورع، وطاعته التزام، وعمله بر وإحسان، ولسانه يصدح بالحلال، وأُذنه لا تسمع إلا صدق الأقوال، وصلى الله على النبي المختار.

الهوامش

1. البقرة:197.
2. آل عمران: 133.
3. العنكبوت: 16 .
4. نوح:2 – 3.
5. البقرة: 21.
6. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.
7. النجم: 32.
8. البقرة: 177.
9. البقرة :3.
10. البقرة: 3.
11. البقرة:3.
12. الفجر: 20.
13. النساء: 128.
14. البقرة: 4.
15. البقرة: 285.
16. النساء: 152.
17. البقرة:4.

عفة العلماء

الأستاذ: كمال بواطنه / وزارة التربية والتعليم العالي

مما يكاد يجمع عليه الناس أنهم لا يحبّون من يطلب منهم مالاً، بل من يطلب منهم أجراً؛ ولذا لم نجد رسولاً يطلب من الناس أجراً على دعوته، وهذا المعنى ورد على لسان كثير من الرسل عليهم السلام، فقال عزّ شأنه، على لسان نوح، عليه السلام {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ}(1) ، وجاء نصّ الآية السابقة على لسان هود – عليه السلام –(2)، وورد مثلها على لسان صالح – عليه السلام– (3)، وعلى لسان لوط –عليه السلام–(4). وهذا خاتم المرسلين يخاطبه ربّه: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ}(5) ، وهكذا كان كلّ رسول ونبيّ لا يأخذ من الناس أجراً، وهذا أدعى لنجاح دعوتهم. ومعروف أنّ النبيّ – صلى الله عليه وسلّم – لم يكن هو وأهل بيته يأخذون صدقة من أحد.

والدعاة الصادقون قديماً وحديثاً تأسوا بالرسل الكرام فعفّوا عمّا في أيدي الناس، وهذا يجعل جهدهم مثمراً ودعوتهم أنجح؛ لأنّها تخلو من الأغراض الدنيوية، والمصالح الشخصيّة.

ودوماً نجد العالم الذي يستجمع اليأس مما في أيدي الناس أثيراً عندهم، وترى الناس

ينفرون من العالم الذي ينظر إلى جيوبهم، وإن كان لسناً، وموسوعياً؛ ولذا تراهم ينظرون نظرة ريبة لمن يتقرّب من ذوي النفوذ والسلطان، وكانوا يرون أنّ الذي يتردّد على أبواب السلطان أكثر من مرّة من غير حاجة لا تقبل شهادته، وقالوا معللين: يدخل العالم على السلطان ومعه دينه، ويخرج ولا دين معه؛ لأنّه يرضيه بغضب الله.

العلماء العارفون من هذه الأمّة عاشوا للعلم، عاشوا أتقياء أنقياء، لم يخدعهم بريق الذهب، ولألأة الجواهر، وإنّما أشاحوا بوجوههم عن كلّ هذا، ورضوا بالكفاف، ولقوا الله خفافاً من الدنيا، مثل الرسل؛ لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورّثوا علماً.

هذا الخليل بن أحمد –رحمه الله – يعرض عليه سليمان بن حبيب بن أبي صفرة/ والي فارس والأهواز أن يدرس ابنه، فيقول: لا حاجة لي إلى سليمان ما دمت أجد هذا، وأشار إلى خبز يابس. فقال له الرسول: وماذا أقول لسليمان؟ فأنشد:

أخبر سليـــمان أني عنه في سعة وفي غنى غير إنّي لست ذا مـــال

والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وهذا سفيان الثوريّ – رحمه الله – يدخل على الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور، وقد طلبه، فقال: سلني حاجتك يا أبا محمد. فقال سفيان: أريد منك أمرين. قال أبو جعفر: وما هما؟ قال: ألا تطلبني حتى آتيك، وألا تعطيني حتى أسألك. فقال أبو جعفر: لقد ألقينا الحبّ إلى العلماء فاستقطبناهم إلا سفيان فقد أعيانا فراراً!!

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر– رحمه الله – يدخل الحرم طائفاً، فلقيه الخليفة هشام ابن عبد الملك، فقال لسالم: يا سالم، ألك إليّ حاجة؟ قال سالم: أما تستحي!! تقول هذا الكلام وأنت في بيت ملك الملوك؟! فلما خرج سالم من الحرم عرض له هشام، وأعاد عليه: هل من حاجة؟ قال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ قال: حوائج

الآخرة لا أملكها، وإنّما أملك حوائج الدنيا، قال سالم: والله ما سألت الدنيا ممن يملكها، فكيف أسألها منك؟!

وهذا عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي يلقي درساً في المصلين في المسجد الأمويّ، فيدخل إبراهيم باشا ابن محمد علي/ والي مصر. ومرّ إبراهيم باشا من جانب الشيخ، وكان مادّاً رجله فلم يحركها، ولم يبدّل جِلسته، فاستاء إبراهيم باشا، واغتاظ غيظاً شديداً، وخرج من المسجد، وقد أضمر في نفسه شرّاً بالشيخ.

وما أن وصل قصره حتى حفّ به المنافقون من كل جانب، يزيّنون له الفتك بالشيخ، الذي تحدّى جبروته وسلطانه، وما زالوا يؤلّبونه حتى أمر بإحضار الشيخ مكبّلاً بالسلاسل.

وما كاد الجند يتحركون لجلب الشيخ حتى عاد إبراهيم باشا فغيّر رأيه، فقد كان يعلم أن أيّ إساءة للشيخ ستفتح عليه أبواباً من المشكلات، لا قِبل له بإغلاقها.

وهداه تفكيره إلى طريقة أخرى، ينتقم بها من الشيخ؛ طريقة الإغراء بالمال، فإذا قبله الشيخ فكأنه يضرب عصفورين بحجر واحد؛ يضمن ولاءه، ويسقط هيبته في نفوس المسلمين، فلا يبقى له تأثير فيهم .

وأسرع إبراهيم باشا فأرسل إلى الشيخ ألف ليرة ذهبية، وهو مبلغ يسيل له اللعاب في تلك الأيام، وطلب من وزيره أن يعطي المال للشيخ على مرأى من تلامذته ومريديه ومسمعهم.

وانطلق الوزير بالمال إلى المسجد، واقترب من الشيخ وهو يلقي درسه، فألقى السلام، وقال للشيخ بصوت عال سمعه كلّ من حول الشيخ: هذه ألف ليرة ذهبية يرى مولانا الباشا أن تستعين بها على أمرك .

ونظر الشيخ نظرة إشفاق نحو الوزير، وقال له بهدوء وسكينة: يا بنيّ، عد بنقود سيدك، وردّها إليه، وقل له: «إنّ الذي يمدّ رجله، لا يمدّ يده!!»

وهذا عالم يدعى علي بن عبد العزيز الجرجاني يصوّر في أبيات له العالم المتعفّف، فيقول:

أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما كل برق لاح لي يستفـــزني ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
وإني إذا ما فاتني الأمر لـــم أبت أقلّب كفي إثره متنـــدما
ولم أقض حقّ العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لي سلـــما
إذا قيل : هذا منهل قلت قـــد أرى ولكن نفس الحرّ تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العـــلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلـــة إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صـــانهم ولو عظّموه في النفوس لعظـــما
ولكن أذلّوه فهـــان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهـــّما

مما أتذكّر أيام الدراسة أنّ أحدهم كان يؤمّنا في الصلاة في مسجد الجامعة، وذات مرّة زار الجامعة نائب زعيم البلاد؛ ليخرّج دورة عسكرية، ولما أذّن المؤذّن جاء هذا الذي كان يؤمّنا، فصلّى بنا صلاة بسرعة البرق؛ ذلك أنّه كان مشوّش العقل باستقبال نائب زعيم البلاد، وليت شعري لو كان هذا النائب سيوزّع أموالاً وهدايا كيف عساه سيصلّي بنا؟!

من أسف أنّ كثيراً من العلماء أغراهم الأصفران، ولهثوا وراء المناصب والترقيات والدرجات والعلاوات...، ونسوا في حمأة ذلك رسالتهم في الحياة، وتذلّلوا لأصحاب

النفوذ، فمالؤوهم، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا زائل.

مما قيل: «سلطان الكلمة أقوى من كلمة السلطان»(6)، ولكنّ هذه الكلمة لن تصل إلى مرماها ما لم يكن الرامي متعففاً، وممن يؤمنون بما يقولون؛ العزّ بن عبد السلام -رحمه الله- قالوا عنه بعدما وقف في وجه المماليك: لو خرج من القاهرة لخرجت القاهرة كلّها معه. لماذا؟ هل لأنّه كان يمتلك العقارات والأموال؟! هل لأنّه زعيم قبيلة كبيرة، يصعب منازلتها؟! هل وهل؟! كلّ ما في الأمر أن الرجل كان متعففاً وصاحب كلمة صادقة. كان بإمكانه أن ينضوي تحت لواء المماليك، ويبيع دينه بدنياه، ولكنّه باعهم؛ لأنّهم كانوا عبيداً، ووضع أثمانهم في بيت مال المسلمين؛ ذلك أنّ العبد لا يملك نفسه، فكيف يملك الناس، ويحكمهم؟! فسمّي (بائع الملوك). قال فيه أحد قادة الفرنجة: (لو كان هذا قسوساً عندنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها). هكذا هم أصحاب الكلمة الصادقة، الذين طلقوا الدنيا، وتاجروا بالآخرة. إنّ أمثال هؤلاء في واقعنا موجودون، ولكنّهم قليلون؛ وهكذا هي المعادن النفيسة تكون قليلة!!

الهوامش:

(1) الشعراء:109.

(2) الشعراء:127.

(3) الشعراء:145.

(4) الشعراء:164.

(5) الطور:40.

(6) محمد الشماع/ صحفي مصري.

من أخبار ونشاطات مكتب المفتي العام

ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام لمديرية العلاقات العامة والإعلام

سيادة الرئيس يستقبل سماحة المفتي العام

رام الله: استقبل سيادة الأخ الرئيس محمود عباس «أبو مازن»، رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، في مقر الرئاسة برام الله سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، حيث تناول الحديث بينهما أوضاع المدينة المقدسة، والتشديدات التي يفرضها الاحتلال على أبناء مدينة القدس، والاستيطان الجاري على قدم وساق لتهويد المدينة، والمضايقات التي تعرض لها أبناء الديانة المسيحية على يد الاحتلال الإسرائيلي، وقال سيادته: إن ما تقوم به قوات الاحتلال من انتهاكات لحرية العبادة تتنافى وجميع الشرائع الدولية، وتؤكد كذب الجانب الإسرائيلي في زعم أنها تفسح المجال لأصحاب مختلف الأديان بالوصول إلى مقدساتهم وأداء شعائرهم الدينية فيها.

خادم الحرمين الشريفين يستقبل المفتي العام

الرياض: استقبل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، في الرياض، سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، وذلك خلال مشاركة سماحته في الفعاليات الثقافية والفكرية للمهرجان الوطني للتراث والثقافة الخامس والعشرين «الجنادرية»، الذي عقد في الرياض، وشارك سماحته خلال حضوره المهرجان في ندوة بعنوان «القدس في ضمير العالم... الحق ... التاريخ ... السلام» وقدم بحثاً بعنوان «القدس: تاريخ ... وإيمان» تطرق سماحته فيه إلى تاريخ القدس والمسجد الأقصى المبارك، وما يتعرض له من انتهاكات على يد سلطات الاحتلال، كما ألقى سماحته محاضرة في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، بيَّن فيها أن أصحاب الديانات السماوية استمتعوا بحرياتهم الدينية والمذهبية في ظل الخلافة الإسلامية، على عكس ما واجهه المسلمون إبان احتلال مدينة القدس عبر التاريخ.

المفتي العام يلتقي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

جدة: ضمن وفد المؤتمر الوطني الشعبي للقدس، استعرض سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، مع البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلو، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية على الأراضي والمقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، حيث بين سماحته خطورة الهجمة الاستيطانية الشرسة على الأراضي الفلسطينية، وخاصة مدينة القدس، مبيناً أن سلطات الاحتلال ماضية في الاستيلاء على الأراضي والمنازل الفلسطينية لفرض سياسة الأمر الواقع.

وثمن سماحته الدور الذي تقوم به منظمة المؤتمر الإسلامي لدعم الشعب الفلسطيني ومقدساته، مطالباً بتفعيل هذا الدور، نظراً لحجم الأخطار التي تحدق بالقدس، وطالب سماحته قادة الدول العربية والإسلامية باتخاذ الخطوات المناسبة لمناهضة سياسة بناء الكنس بجوار المسجد الأقصى المبارك، وكذلك الحفريات التي تقوم بها سلطات الاحتلال أسفل أساساته وجدرانه وساحاته، داعياً إلى وضع خطة لمواجهة هذه الممارسات، ودعم الشعب الفلسطيني في صموده وثباته.

من جانبه ثمن أوغلو هذه الزيارة، مبيناً أنها تأتي في إطار التواصل والتنسيق لدعم الشعب الفلسطيني ومقدساته، قائلاً: إن المنظمة تراقب بقلق الانتهاكات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، وأنها تتحرك على جميع الأصعدة لوقف هذه الممارسات التي تؤثر على المنطقة واستقرارها.

المفتي العام يترأس الجلسة التاسعة والسبعين لمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى – الجلسة التاسعة والسبعين لمجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين، وانتقد المجلس إنشاء الكنس اليهودية بجوار المسجد الأقصى المبارك، وبحث العديد من الموضوعات والقضايا التي تهم المواطنين في حياتهم اليومية، منها: حكم

المزادات الإلكترونية، وحكم التجارة مع بعض الشركات التي تعتمد أسلوب التوزيع الشبكي، وحكم الدخول لمواقع المحادثة الإلكترونية؛ مثل الفيس بوك، وموضوعات أخرى.

المفتي العام يترأس اجتماعاً لمفتيي المحافظات

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، اجتماعاً لمفتي المحافظات، حيث أدان سماحته حملة الاغتيالات التي تقوم بها سلطات

الاحتلال ضد المواطنين الأبرياء العزل، إضافة إلى حملة الاعتقالات المسعورة ضد المناضلين الفلسطينيين، التي كان آخرها اعتقال عباس زكي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، وتمحور الاجتماع حول آلية عمل دور الإفتاء الفلسطينية، وسبل النهوض بها.

المفتي العام يؤدي واجب العزاء بالعميد عبد الله داود

القدس: قام سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية، بتقديم واجب العزاء بالشهيد العميد عبد الله داود في مركز شباب مخيم بلاطة، وألقى سماحته كلمة حول مكانة الشهداء عند الله سبحانه وتعالى، وعدد فيها مناقب الشهيد الذي اتسمت حياته بالنضال والشجاعة، وقضى نحبه مبعداً عن أهله ووطنه، سائلاً الله أن يرحمه بواسع رحمته، وأن يتقبله مع الشهداء والصديقين والصالحين، وضم الوفد فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة

رام الله والبيرة، وفضيلة الشيخ أحمد شوباش، مفتي محافظة نابلس، وفضيلة الشيخ محمد أبو الرب، مفتي محافظة أريحا والأغوار، وفضيلة الشيخ حسين عمر، مفتي محافظة طوباس.

المفتي العام يشارك في افتتاح دورة تحقيق المخطوطات التاريخية بالقدس

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، في حفل افتتاح الدورة الثانية في تحقيق المخطوطات التاريخية الخاصة بمدينة القدس، والتي

عقدتها مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، وثمن سماحته هذه الخطوة المباركة والمهمة، داعياً إلى تأهيل كادر مختص وفريق عمل متكامل من أجل صيانة المخطوطات، موضحاً أن صمود القدس أمام الهجمة الشرسة الساعية لتهويدها متمثل بمواطنيها وتاريخها وتراثها.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يشارك في أسبوع القدس في العاصمة الأردنية عمان

عمان: ممثلاً عن سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– شارك فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية،

مفتي محافظة رام الله والبيرة – في افتتاح فعاليات أسبوع القدس بجامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا في العاصمة الأردنية عمان، والذي عقد تحت رعاية نائب رئيس الوزراء الأردني الدكتور رجائي المعشر، واشتمل على معرض للصور، وندوات هادفة، وثمن فضيلته جهود جامعة الشرق الأوسط الفتية في الاهتمام بقضية القدس التي تهم كل مسلم وعربي في أقطار الدنيا، حيث إنها تقيم هذا الأسبوع سنوياً، ويحضره عدد من الشخصيات الرسمية والفكرية والطلابية، وتهدف من ورائه إلى إبقاء قضية القدس حية في الوجدان العربي، وبخاصة لدى قطاع الطلبة الجامعيين، وشكر رئيس مجلس أمنائها الأستاذ يعقوب ناصر الدين ومجلس الأمناء ورئيس الجامعة د. عبد الباري درة والهيئة الأكاديمية والإدارية في الجامعة على هذا الاهتمام.

الوكيل المساعد يشارك في مؤتمر «أين الشرف من جرائم الشرف»

رام الله : شارك فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة – في مؤتمر «أين الشرف من جرائم الشرف» والذي نظمه مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان واليونيفيم ومركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي والهيئة المستقلة لحقوق الإنسان برعاية وزارة شؤون المرأة، وبين فضيلته أن ما تعانيه المرأة إنما يخص المجتمع بكامله، مؤكداً على أن هناك حاجة للتمييز

بين المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام وبين التطبيق الخاطئ في بعض الأحيان، وأشار إلى أن الإسلام حرم التعدي على حياة أي إنسان، رجلاً كان أو امرأة، وأن الإسلام له مبادئ وأسس واضحة تحدد الموقف من جرائم الشرف.

الوكيل المساعد يشارك في حفل استقلال تونس

ممثلاً عن سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – شارك فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة – يرافقه السيد مصطفى أعرج – نائب المدير العام لمديرية العلاقات العامة والإعلام – في حفل الاستقبال الذي أقامته سفارة الجمهورية التونسية في فلسطين بمناسبة إحياء الذكرى ال 54 لاستقلال تونس، وقد شارك في هذا الاحتفال عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية.

مفتي أريحا والأغوار يشارك في حفل افتتاح المؤتمر الثاني والثلاثين لجمعية نهضة العلماء

جاكرتا – أندونيسيا: ممثلاً عن سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب – مفتي محافظة أريحا والأغوار– في حفل افتتاح المؤتمر الثاني والثلاثين لجمعية نهضة العلماء الذي أقيم في مدينة «مكاسار» في محافظة سولاويسي الجنوبية بجمهورية أندونيسيا، حيث ألقى فضيلته عدداً من الدروس والندوات وخطبة الجمعة، وزار العديد من الجامعات، وأجرى المقابلات الصحفية، كما التقى عدداً من الشخصيات الرسمية والشعبية والسفير الفلسطيني في أندونيسيا السيد فريز مهداوي، وأطلعهم على الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، وبخاصة في مدينة القدس.

مفتي نابلس يشارك في إحياء ذكرى استشهاد « أبو جهاد» ويقوم بنشاطات أخرى

نابلس: ممثلاً عن سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس – في حفل إحياء الذكرى الثانية والعشرين لاستشهاد أمير الشهداء خليل الوزير «أبو جهاد» والذي أقامه التجمع الوطني لأسر الشهداء في فلسطين بقاعة الشهيد ظافر المصري في جامعة النجاح الوطنية، كما شارك فضيلته في حفل يوم اليتيم العالمي الذي أقامته جمعية التضامن الخيرية في المحافظة، وألقى كذلك محاضرتين لقوات الأمن العام تناول فيهما «الأخلاق في الإسلام» و«القيم الدينية المرتبطة بعمل رجل الأمن»، وكان فضيلته قد ألقى عدداً من خطب الجمعة في مساجد المحافظة، تحدث فيها عن أهمية الأرض الفلسطينية ومكانتها، وشارك فضيلته كذلك في ندوات اقتصادية حول حماية المستهلك.

مفتي محافظة جنين يشارك في فعاليات إحياء يوم الأرض

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح – مفتي محافظة جنين – في الفعاليات الوطنية لإحياء يوم الأرض وزراعة أشتال الزيتون في قرية زبده في المحافظة، كما شارك في المسيرة الجماهيرية التي أقيمت في المحافظة بيوم المستهلك الفلسطيني، وألقى محاضرة

دينية لدورة ضباط الأجهزة الأمنية في المحافظة، تحدث فيها عن الولاء والانتماء، وأن الموظف مؤتمن على عمله، ورجل الأمن يمثل كل مواطن في عمله، وحثهم على ضرورة التمسك بثوابتنا، وشارك فضيلته في فعاليات مهرجان إحياء ذكرى ملحمة نيسان الذي كرمت فيه اللجنة الوطنية العليا لإحياء الذكرى السنوية الثامنة لمعركة مخيم جنين الهيئات المحلية والأجهزة الأمنية والأطقم الفنية التي ساندت أهالي مخيم جنين في ملحمة نيسان 2002.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في عدد من الفعاليات في محافظة بيت لحم

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم – في المؤتمر التربوي الذي أقامته مديرية التربية والتعليم في المحافظة بعنوان «إبداعات وتجارب مديرية ومدارس بيت لحم ومؤسساتها لتحسين نوعية التعليم»، وشارك فضيلته كذلك في اجتماع المجلس التنفيذي للمحافظة الذي بحث عودة المستوطنين إلى منطقة عش الغراب في المحافظة، وحضر حفل التكريم الذي أقامه مركز اللقاء لعدد من الباحثين الذين قدموا أبحاثاً في مجالات «الإسلام والعنف»، و«الإسلام وحقوق المرأة»، و«الإسلام والاجتهاد»، كما شارك في الاحتفال الذي أقامته وزارة الاقتصاد الوطني بيوم المستهلك الفلسطيني، وتضمن معرضاً للصناعات والمنتجات الفلسطينية، وشارك كذلك في حفل تكريم عدد من طلبة المدارس الفائزين بالمسابقة التي أقيمت لمحاربة منتجات المستوطنات.

مسابقة العدد 91

أسئلة المسابقة:

1. متى حرق المسجد الأقصى المبارك ؟
2. أين يقع قبر الأمير الكبكي المملوكي؟
3. ما اسم الدابة التي ركبها الرسول صلى الله عليه وسلم خلال رحلة الإسراء ؟
4. من الذي شبه تاريخ الاختراعات بسلسلة لا نهاية لها من الأمثلة المتشابهة؟
5. ما جنسية العلامة «ابن باديس»؟
6. من صاحب كتاب «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»؟
7. ما علاقة «حمد الله رب العالمين» بفضيلة التسامح؟
8. ما الآية القرآنية التي قال عبد الله بن مسعود عنها بأنها أجمع آية في القرآن ؟
9. ماذا يشترط في بيع الذهب بالذهب ؟
10. ما الأصل في حكم العادات ؟
11. ما التي قصدها الشاعر بقوله : ولا أعطي لها ثمناً حياتي ولا أدعو لها أبداً نديا ؟
12. ما معنى البِتْع ؟
13. من القائل : «إن الذي يمد رجله، لا يمد يده» ؟
14. متى وقعت معركة مخيم جنين ؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد مع الإشارة إلى رفع قيمة الجوائز اعتباراً من هذا العدد، وذلك على النحو المبين أدناه

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف والإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 91

مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 89

س1: حب الله ورسوله.

س2: أسباب انهيار الأسرة في أوروبا.

س3: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... }(التوبة:60).

س4: بدأ العمل بالوصية من عام 1976م.

س5: الإداوة: إناء صغير من جلد.

س6: أ. أبو طلحة رضي الله عنه.

ب. عبد الله ابن أم مكتوم.

ج. ابن القيم.

د. الحسن البصري.

هـ ملك حفني ناصيف(باحثة البادية).

الفائزون في مسابقة العدد 89

المرتبة	الإسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	فاطمة صلاح	جنين	250
الثانية	بلال أبو رميس	بيت لحم	200
الثالثة	يزن كمال بواطنة	رام الله	150

الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه لأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة فيها، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصلنا مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية، الهادفة النيرة، وملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والتراثية والتاريخية، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 5 صفحات حجم A4، والبحث من 10 - 12 صفحة.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع التشكيل، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org